

القرآن الكريم أعجوبة في لغته وأساليبه

عبد القادر منصور¹

الديباجة

بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله ، والصلاة والسلام على نبيه ومصطفاه؛ أمّا بعد:

فهذه دراسة قرآنية جديدة في أداء القراءات العشر-أسلوبياً وألفاظاً-ذلك؛ أني وجدت ضرورة ملحة، أن تعرف حقيقة مخرج الحرف العربي وطريقة خروجه، والمؤثرات الصوتية حالة تفرده ، وحالة احتكاكه مع حرف آخر، إذ ما من لغة من اللغات، إلا تخضع لمنظومة صوتية ، بهذا كله، تختلف عن غيرها -مخرجاً، وصفةً، وسبيلاً.

وتوطئة لسير البحث، فقد صدرته بمحور التنزيل-بدأً ونهاية-على حيثية النزول الأولي لكتاب الله المجيد، وحكاية التعامل المحمدي مع المتنزل الأول (اقرأ)!. بغار حراء، ففيه من الحكم ما فيه!!! فسقت حديثه، وما أحيط به من مواقف لشخصيات، هي أساس في قلب الحدث. فني مرسل خاتم؛ اسمه محمد(ع). وعالم نبيه فطن، اسمه (ورقة²). وجبريل الأمين الذي فجر بطلقة(اقرأ)، كثافة

¹ الدكتور، "أستاذ القرآن وعلومه، بـ (كلية الإلهيات) "بجامعة عثمان غازي، تركيا - إسكي شهير"

² ورقة بن نوفل (12 ق هـ = 611 م) بن أسد بن عبد العزي ، من قريش: حكيم جاهلي، اعتزل الأوثان قبل الإسلام ، وامتنع من أكل ذبائحها، وتنصر، وقرأ كتب الأديان. وكان يكتب اللغة العربية بالحرف العبراني. أدرك أوائل عصر النبوة ، ولم يدرك الدعوة. وهو ابن عم خديجة أم المؤمنين. ولورقة شعر سلك فيه مسلك الحكماء. الروض الأنف 1: 124 - 127 ، 156 ، 157 وصحيح البخاري 1: 4 ، 5 . وصحيح مسلم، 1: 141 ، 142 والإصابة : ت 9133- سنن النبي(ج) عن ورقة، فقال: " يبعث يوم القيامة أمة

ظلمات الجهل المتراكمة، وغلظة الغشاوة الفكرية، والعقدية، المترامية عبر قرون من الفترة ما بين عيسى المسيح، وبين خاتم النبيين محمد(ع). وامرأة ملهمة عظيمة-هي زوجته-واسمها(خديجة³)....

ثم عرجت، وعجت طويلاً، عند اللغة التي شرفها الله بنزول الوحي، وفق مفرداتها-صيغةً، وأسلوباً. وهوية اللسان الذي نزل به ، ثم جليت السمات اللغوية والبلاغية التي اصطبغت بها بمنح ربانية-تأهילהا أن تكون الحامل لرسالة الوحي الإلهي الخاتم.

فهم ينجلي:

ثم انجلى لي-بعد فهم من قوله تعالى:(قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ⁴؛ أن العوج: هو كل ما سوى لسان القرآن، وتشريعته. وأن إضافته-هنا - كانت لغرض حكيم رصين . فقد جاء في التفسير: أي: ليس فيه تضادّ، ولا اختلاف، ولا عيب من العيوب، التي في كلام البشر⁵. وعن عثمان بن عفان، قال: "أي: غير مضطرب، ولا متناقض، وما قيل: أي: غير ذي لحن⁶. وقال ابن كثير: أي: هو قرآن بلسان عربي مبين، لا اعوجاج فيه، ولا انحراف، ولا لبس؛ بل هو

وحده! ". ونصه: " يبعث يوم القيامة أمة وحده، بيني وبين عيسى " أخرجه أحمد (1648) والطبراني (350) قال الهيثمي (417/9):
إسناده حسن.

³ أم المؤمنين (68 - 3 ق ه = 556 - 620 م) خديجة بنت خويلد من قريش: زوجة رسول الله (ج) الأولى، وكانت أسن منه ب(15) سنة. ولدت بمكة، ونشأت في بيت شرف ويسار، وكانت ذات مال كثير، وتجارة تبعث بها إلى الشام، تستأجر الرجال، وتدفع المال مضاربة. فلما بلغ رسول الله (ج) الخامسة والعشرين خرج في تجارة لها إلى سوق بصرى ب (حوران) وعاد رابعاً، فهدست له من عرض عليه الزواج بها، فأجاب، فأرسلت إلى عمها (عمرو بن أسعد بن عبد العزى) فحضر وتزوجها رسول الله (ج) (قبل النبوة) فولدت له القاسم (وكان يكنى به) وعبد الله (وهو الطاهر والطيب) وزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة. وكان بين كل ولدين سنة. ولما بعث رسول الله (ج) دعاها إلى الإسلام، فكانت أول من أسلم من الرجال والنساء. ومكثا يصليان سرا إلى أن ظهرت الدعوة. وكانت وفاة خديجة بمكة. - الأعلام للزركلي (2/ 302) طبقات ابن سعد 8: 7 - 11 والإصابة، وصفة الصفوة 2: 2

⁴ [الزمر: 28]

⁵ التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى (1 / 1837)

⁶ تفسير الألوسي (17 / 462)

القرآن الكريم أعجوبة في لغته وأساليبه

بيان، ووضوح، وبرهان⁷.

وسنرى عند المقارنة بين لغة القرآن القرشية، واللهجات العربية، في عدد من الحروف - مخرجا، وصفة، وتضاداً، وانحرافاً، واضطراباً. لذلك، كان لا بد من مقارنة فنية، بين لسان القرآن القرشي، ولهجات قبائل عربية أخرى، هي معتبرة في البيان والتفصيح؛ حتى يظهر الفرق بين الأصوات، والمخارج، والصفات؛ حتى يستقيم اللسان في القراءة القرآنية، ويجافي العوج. إذ ليس الأمر هينا، فهو على محك الخطر في التحريف، والعبث في كلام الله سبحانه، ما من شأنه أن يقف العجم على عظمة اللسان القرآني، وتناى الشبهات حول القراءة وفق التنزيل الرباني-كما أخذت بالسند المتصل عن المتلقي الأول سيدنا محمد(ع) عن جبريل، عن رب العزة والجلال.

منظومة أدائية بديعة:

وثمة حقيقة ظاهرة؛ وهي: أن قراءة الحرف القرآني، يخضع لمنظومة أدائية في الصوت، يشق على المتلقي أداءها، وما سوى العرب؛ لأشد مشقة، وعُسراً؛ لأن القرآن نزل بأداء صوتي متكامل ومتفرد، يجعل قارئه مستقيم اللسان فصيحاً. وصدق رسول الله(ع)-حين عمم بإشارته، ولم يجعل فرقا بين

⁷ تفسير ابن كثير (7 / 96)

العربي والعجمي- حين قال: "المَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مع السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ"⁸. والذي يقرأ القرآن، وَيَتَتَعَّعُ فِيهِ-وهو عليه شاق- له أجران"⁹.

ذلك، أن المخارج والصفات ، التي اصطبغت بها حروف القرآن ، دونها سائر اللهجات العربية – دقةً وتكاملاً. ولما كان أئمتنا يلقون علينا هذا الحديث، كنا نظن -نحن العرب-أننا المخاطبون فقط، وحين صرنا نُقَرِّئُ غير العرب، وقوبل اللسانان-العربي والعجمي- وفق المخارج الصوتية، انجلى لنا فحوى الخطاب ، وأن الصعوبة في إخراج الحرف من مخرجه، ليس مقصوراً على العرب فحسب؛ وإنما هم، والعجم سواء في تعاطيه ، وأنه كلما كان إخراج الحرف القرآني من مخرجه عسيراً أكثر ، كان الثواب أكثر . وبهذا الهدي النبوي، تجلت عظمة الخطاب بوحى السنة الشريفة. والله أسأل؛ أن تكون ذخراً لي يوم الدين؛ وينتفع به مطالعه ودارسه. أمين. حررت، بتاريخ: /2014/6/3/ ميلادية. /1435/7/5/ هجرية.

⁸ الماهر: الحاذق بالشيء العارف به.(السَّفَرَةُ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ): بريد الملائكة. والسفرة: جمع سافر. ككاتب وكتبة. والسافر: الرسول. والسفرة: الرسل. لأنهم يسفرون إلى الناس برسالات الله. سُمُوا بذلك، لأنهم يتزلون بوحى الله، وما يقع به الصلاح بين الناس. فشبهوا بالسفير الذى يصلح بين الرجلين. والكرام: جمع الكريم. أي: المكرمين على الله المقربين عنده، لعصمتهم، ونزاهتهم عن دنس المعصية. والمخالفة. والبررة: جمع البار. وهم المطيعون من البر. وهو الطاعة. تحفة الأحمدي(15/193) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم - للقااضي عياض (3/95)

⁹ صحيح: أخرجه أحمد(48/6) ومسلم (195/2) وابن ماجه(3779) والنسائي في «فضائل القرآن» (70). وفي رواية: "وَهُوَ يُتَعَّعُ فِيهِ". مستخرج أبي عوانة ط الجامعة الإسلامية (42/11) مسلم في صحيحه، 1/ 551 ح 244 مسند أبي عوانة (4/433) ويتتبع فيه: أي: يتردد في تلاوته عيئاً، وصعوبة. والتتعة في الكلام: العي، والتردد فيه. وأصل التتعة: الحركة. والتتعة في الكلام: العي. وإنما كان له أجران؛ من حيث التلاوة؛ ومن حيث المشقة. المفهم (7/58)

القرآن كلام عجب

العَجَب والتعجب: حالة تعرض للإنسان عند الجهل بسبب الشيء¹⁰. أو العجب: "إنكار ما يرد عليك، لقلّة اعتياده"¹¹. والعجب، جمعه إعجاب. قال: (يا عجباً للدهر ذي الإعجاب). ويقال: عجب، وتعجب، واستعجب. والاسم: العجيبة، والأعجوبة. والتعاجيب: العجائب لا واحد لها. [وأعجبه الأمر]: حمّله على العجب منه¹². وأمر عجيب، وعجب، وعجاب. وعجبٌ عاجبٌ، وعجيبٌ عجابٌ: على المبالغة. وأمر عجيب معجب¹³.

ويقولون: "يَا لِلْعَجَبِ!" . معناه: يَا قَوْمِ تَعَالَوْا إِلَى الْعَجْبِ، وَلِلْعَجْبِ أَدْعُو. فهذه لام التعجب- كقوله: (لِلَّهِ دَرُةٌ). وقد تجتمع التي للنداء والتي للتعجب- كما قال الشاعر: [من المتقارب]: (أَلَا يَا لِقَوْمِي لَطِيفِ الْخِيَالِ).

وعجب: مصدر يوضع موضع العجيب. وفيه مبالغة: وهو: "ما خرج عن حد أشكاله، ونظائره"¹⁴. ومن ثم قال الله يحكي مقولة الكافرين: {وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (4) أَجَعَلَ الْإِلَهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ¹⁵}. أي: عجب. وَعَجِيبٌ، وعجاب، بِمَعْنَى وَاحِدٍ. وَقَرَأَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّلْمِيُّ: "إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ". وَهُوَ بِمَعْنَى الْأَوَّلِ¹⁶.

¹⁰ التعاريف (504)

¹¹ الصحاحي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها (75) فقه اللغة وسر العربية (245)

¹² ويقال: ثمرة العجيب المقت. أي من أعجب بنفسه مقتته الناس. والعجبُ بالنفس: التكبر والترفع. اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب النحو والصرف والبلاغة والعروض واللغة والمثل (271) والفرق بين العجب والكبر: أن العجب بالشيء: شدة السرور به حتى لا يعادله شيء عند صاحبه. تقول هو معجب بفلانة: إذا كان شديد السرور بها. وهو معجب بنفسه: إذا كان مسرورا بخصالها. ولهذا يقال: أعجبه- كما يقال: سر به. فليس العجب من الكبر في شيء. الفروق اللغوية (ص: 352)

¹³ إيضاح شواهد الإيضاح (400 /1)

¹⁴ الكشف (151 /7)

¹⁵ [ص:4]: [5:4]

¹⁶ تفسير السمعاني (425 /4)

كقوله تعالى { مَكْرًا كُبْرًا } وهو أبلغ من المخفف. وعُجَابٌ أي: بليغ في العجب. ونظيره: كريم وكرام¹⁷.

روي: أنّ إسلام عمر-رضى الله تعالى عنه- فرح به المؤمنون فرحا شديداً، وشق على قريش، وبلغ منهم، فاجتمع خمسة وعشرون نفساً من صناديدهم، ومشوا إلى أبي طالب، وقالوا: "أنت شيخنا وكبيرنا، وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء- يريدون: الذين دخلوا في الإسلام- وجئناك لتقضى بيننا وبين ابن أخيك" فاستحضر أبو طالب رسول الله [ع] وقال: "يا ابن أخي، هؤلاء قومك يسألونك السؤال، فلا تمل كل الميل على قومك".

فقال رسول الله [ع]: "ماذا يسألونني؟"

قالوا: "أزفُضُنَا وارفُضْ ذَكَرَ آلِهَتِنَا، وَنَدَعُكَ وَإِلَهَكَ"

فقال [ع]: "أرأيتم إن أعطيتكم ما سألتكم؟ أمُعْطِي أَنْتُمْ كَلِمَةً وَاحِدَةً، تَمْلِكُونَ بِهَا الْعَرَبَ، وَتَدِينُ لَكُمْ بِهَا الْعَجَمَ؟" فقال أبو جهل: "لله أبوك نعم، وَعَشْرًا مَعَهَا." أي: نعطيها وعشر كلمات معها.

فقال: "قولوا لا إله إلا الله"

فنفروا مِنْهَا وَقَامُوا وَقَالُوا: {أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ}. وَأَنْطَلَقُوا وَهُمْ يَقُولُونَ: [من علم: أن نبياً يخرج في زماننا هذا؟]¹⁸.

الجن عجبوا:

والجن أحد الثقلين المكلفون كما الإنس: {وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفْرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ} [الأحقاف: 29].

¹⁷ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (73 / 4)

¹⁸ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (72 / 4) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (82 / 4)

القرآن الكريم أعجوبة في لغته وأساليبه

مَعْنَاهُ: وَجْهِنَا وَجُوهَهُمْ إِلَيْكَ. وَأَمَّا سَبَبُ نَزُولِ الْآيَةِ: وَهُوَ أَنَّ النَّبِيَّ لَمَّا دَعَا كُفَرَاءَ مَكَّةَ إِلَى الْإِسْلَامِ وَأَبَوْا أَنْ يَسْلُمُوا خَرَجَ إِلَى الطَّائِفِ لِيَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ، فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى مَكَّةَ وَكَانَ بِيَطْنَ نَخْلَةَ، مَرَّ عَلَيْهِ أَشْرَافُ مَنْ جَنَّ نَصِيبِينَ وَهُوَ يُصَلِّي صَلَاةَ الصُّبْحِ.

وَيُقَالُ: إِنَّهُمْ رَأَوْهُ بِيَطْنَ نَخْلَةَ وَهُوَ عَامِدٌ إِلَى عِكَازٍ. وَخْتَلَفُوا فِي عَدَدِهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: كَانُوا سَبْعَةَ نَفَرٍ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: كَانُوا تِسْعَةَ نَفَرٍ. وَيُقَالُ: كَانَ فِيهِمْ زَوْبَعَةٌ¹⁹. فَلَمَّا سَمِعُوا قِرَاءَةَ النَّبِيِّ اجْتَمَعُوا لِسَمَاعِهِ. وَفِي التَّفْسِيرِ أَيْضًا: أَنَّ الْجِنَّ كَانُوا يَسْتَمِعُونَ إِلَى السَّمَاءِ قَبْلَ زَمَانِ النَّبِيِّ؛ فَلَمَّا كَانَ زَمَانُ النَّبِيِّ رَمَوْا بِالشُّهْبِ، فَاجْتَمَعُوا وَقَالُوا:

" مَا هَذَا إِلَّا لِأَمْرٍ حَدَثَ فِي الْأَرْضِ "

فَضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ يَمِينًا وَشِمَالًا حَتَّى وَجَدُوا النَّبِيَّ بِيَطْنَ نَخْلَةَ يُصَلِّي، وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَحَوْلَهُ الْمَلَائِكَةُ يَحْرُسُونَهُ؛ فَعَرَفُوا: أَنَّ مَا حَدَثَ مِنَ الْأَمْرِ كَانَ لِأَجَلِهِ²⁰.

وجاء الأمر للنبي [ع] بإعلان الحدث. قال تعالى: {قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا: إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا²¹}. و{عَجَبًا}: عَجِيبٌ مَدْهَشٌ لِفَصَاحَتِهِ، وَمَعْنَاهُ²²، بَدِيعًا مَبَايِنًا لِسَائِرِ الْكُتُبِ فِي حَسَنِ نَظْمِهِ، وَصِحَّةِ مَعَانِيهِ. قَائِمَةٌ فِيهِ دَلَائِلُ الْإِعْجَازِ. وَعَجِبَ: مَصْدَرٌ يُوَضِّعُ مَوْضِعَ الْعَجِيبِ. وَفِيهِ مَبَالِغَةٌ؛ وَهُوَ:

" ما خرج عن حد أشكاله، ونظائره²³."

¹⁹ وقد ذكر في أسماءهم (حسى ومسى ويسى وشاصر وناصر) والله أعلم.

²⁰ تفسير السمعي (162/5)

²¹ [الجن: 1]

²² تفسير كلمات القرآن محمد غازي الدروبي (1/22)

²³ الكشاف (151/7)

عبد القادر منصور

عمر أعجب من تأليفه!

وثمة مشهدان من التعجب من تأليفه الصوتي.

أحدهما: تعجب عمر من تأليفه - قبل أن يدخل الإسلام - فأعجب. عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ: "خَرَجْتُ أَنْعَرِضُ رَسُولَ اللَّهِ، قَبْلَ أَنْ أُسْلِمَ، فَوَجَدْتُهُ قَدْ سَبَقَنِي إِلَى الْمَسْجِدِ، فَقُمْتُ خَلْفَهُ، فَاسْتَفْتَحَ سُورَةَ الْحَاقَّةِ. فَجَعَلْتُ أَعْجَبُ مِنْ تَأْلِيفِ الْقُرْآنِ. فَقُلْتُ: "هَذَا وَاللَّهِ شَاعِرٌ - كَمَا قَالَتْ قُرَيْشٌ. قَالَ: فَقَرَأَ: {إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (40) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ}؛ قُلْتُ: كَاهِنٌ. قَالَ: {وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَدَّكَّرُونَ} (42) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (43) وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (44) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (45) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (46) فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ} {إِلَى آخِرِ السُّورَةِ.

قَالَ: "فَوْقَ الْإِسْلَامِ فِي قَلْبِي كُلِّ مَوْقِعٍ"²⁵.

فقوله: {فَجَعَلْتُ أَعْجَبُ} ²⁶ مِنْ تَأْلِيفِ الْقُرْآنِ). يقصد: أصواته - سماعاً - لا كتابة ، وفي غضون نظم فريد مسبوك - مخارج وصفات ، وجمالاً ومفردات . وأسلوباً وأداء. والعجب من لغة القرآن، ربما يثني بسبب آخر، ما روي - إشارة - بأن القرآن الكريم قد نزل بلسان إسماعيل - عليه السلام - التي قد درست. فعن جابر: أن رسول الله [ع] تلا: {كِتَابٌ فَصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} ²⁷. ثم قال: "أَلْهِمَ إِسْمَاعِيلُ هَذَا اللِّسَانَ إِلَهُامًا"²⁸.

الوليد بن المغيرة :

²⁴ [الحاقة: 40 - 47].

²⁵ المسند الجامع لأبي الفضل (12/26). أخرجه أحمد (107)

²⁶ العجيب: الأمر الغريب. العجيب: الأمر يُتَعَجَّبُ منه. وكذلك العجائب بالضم؛ والعجائب بالتشديد أكثر منه. وكذلك الأعجوبة. وقولهم: عجب عجب. كقولهم: ليل لائل. يؤكّد به. الصحاح في اللغة (1/446)

²⁷ [فصلت: 3]

²⁸ شعب الإيمان (3/165) مستدرک الحاكم (4/23) هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

القرآن الكريم أعجوبة في لغته وأساليبه

وثانئهما: اندهاش الوليد بن المغيرة:

ولذلك، حير العرب - جميعاً - فعجز أساطين الفصاحة فهم عن محاكاته، وجعلهم يتساقطون أمام بلاغته، وعجائب لحنه وغنائه. وهذا الوليد بن المغيرة يعجب منه أشد العجب، وهو الخبير في بلاغة العربية - نثراً وشعراً - بل الأعلم بذلك. ولما نزل على النبي {حم} (1) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (2) غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطُّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ²⁹.

قام النبي [ع] في المسجد؛ والوليد قريب منه، يسمع قراءته، فلما فطن النبي [ع] لاستماعه، أعاد القراءة؛ فانطلق الوليد إلى مجلس (بني مخزوم)؛ فقال: "والله، لقد سمعت من محمد - أنفأ. كلاماً؛ ما هو من كلام الإنس؛ ولا من الجن.

إِنَّ لَهُ لِحَلَاوَةً³⁰. وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً³¹؛ وَإِنَّ أَعْلَاهُ لِمَثْمَرٍ؛ وَإِنَّ أَسْفَلَهُ لِمُغْدِقٍ³²؛

وإنه ليعلو، وما يُعلى عليه".

فالوليد بن المغيرة - إذاً - قد انفعّل من تأليف القرآن - صوتاً، ومخارج، وصفات، وجمالاً، ومفردات - وتأثر به تأثراً بليغاً، جعله يطيش حجره، بعد أن أقر بأنه كلام عجيب. وحسبه شاهداً، بقوله: (ما هو من كلام الإنس؛ ولا من الجن) - والفضل ما شهدت به الأعداء - على غرابة النظم القرآني، وقراءته، وأنه أعجوبة الزمان. وكاد أن يجعله ذلك من الفالحين، غير أن شياطين الإنس حوله، قد

²⁹ [غافر: 3.1].

³⁰ الخُلُو: نقيضُ المُرِّ. يقال: خلا الشيءُ يخلُو خِلاوةً. واخلُوْلُ مثله. وأخلِيْتُ الشيءَ: جعلته خُلُوًّا. يقال: ما أَمَرَ؛ وما أخلَى. إذا لم يقل شيئاً. وأخلِيْتُه، إذا وجدته خُلُوًّا. وحالِيْتُه، أي طابَيْتُهُ. الصحاح في اللغة - (1/145) والمشورة: أن تستخلص حلاوة الرأي؛ وخالصه؛ من حنايا الصدور. التعاريف (1/658)

³¹ الطَّلَاوَةُ والَطَّلَاوَةُ: الحسن والقبول. وتقول: "طلاوة" بالكسر، والصواب الضم أو الفتح في تثقيف اللسان 266 والطاء مثلثة في نوادر أبي مسحل 342/1، والمثلث لابن السيد 76/2، والاقتضاب 210/2.

³² وأغْدَقَ المطرُ إغْداقاً، فهو مُغْدِقٌ. وأغْدَدُوقٌ: كثر قطره. ومطر مُغْدَدِوقٌ، وماءٌ مُغْدَدِوقٌ: كثيرٌ. ومنه الحديث: "اللهم اسقنا غَدَقاً مُغْدِقاً" أكدّه به. تاج العروس من جواهر القاموس - (26/237)

عبد القادر منصور

حالوا بينه وبين سيره في طريق الهداية . وهكذا كانت بداية النزول لأعجوبة القرآن. أما بعد: فكان يتنزل وفق مفاصل، وسور عجيبة، في سير النزول حتى النهاية .

القرآن الكريم أعجوبة في لغته وأساليبه

القرآن الكريم نزولاً وقراءة!

(1)- حكاية النبي(ﷺ) مع (اقرأ):

أعظم بها من حكاية!! فهي حكاية مزدوجة: شخصية، وأممية. شخصية: فهي تحكي نزول أول الوحي على سيدنا محمد(ﷺ) خاتم الأنبياء والمرسلين، وكيف تفاعل مع الحدث ببشريته. شرح فيها العلاقة بين (اقرأ)-نزولاً وتجويداً-والعنوان الذي نحن فيه؛ ثم التلويح بقراءة مقننة خاصة . وأممية: حين مثل بين يدي (ورقة بن نوفل)، ذاك الحبر الكبير ، الذي سلخ سجع الغيب عن حقيقة ما وراء الحدث. وأبطال هذه الحكاية أربعة :

1-خاتم النبيين محمد(ﷺ). الصادق الأمين. 2-وجبريل الأمين . سفيرين

الله وأنبيائه.

3-وخديجة بنت خويلد . مثال الزوجة العظيمة.

4-وورقة بن نوفل . الحبر الكبير، والمنصف النحرير.

وكل واحد من هؤلاء الأربعة ، كان له موقف حجر الزاوية. ومسارح الحدث

ثلاثة:

1-مسرح النزول (غار حراء): الذي قال فيه رسول الله(ﷺ): "أُتِبْتُ حِرَاءً!!

فإِنَّمَا عَلَيَّ نَبِيٌّ أَوْ صَدِيقٌ أَوْ شَهِيدٌ³³ ". وفيه كان نزول أول الوحي، وبه نبئ

سيدنا محمد(ﷺ):{اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ
وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ} .

³³ وسببه: ما روي عن سعيد بن زيد(ر) قال: اختبأنا مع النبي(ﷺ) من أذى المشركين بحراء ، فلما استوينا عليه، رجف بنا، فضرب النبي(ﷺ) بكفه، ثم قال : « اثبت حراء! فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد» . قال : وعليه رسول الله(ﷺ) وأبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وطلحة ، والزبير ، وعبد الرحمن ، وسعيد بن زيد (ر). أخرجه الطيالسي(1985) والطبراني في الأوسط (6566)وأحمد(22986)قال الهيثمي (55/9): رجاله رجال الصحيح. وأبو داود(4648)والترمذي(3757) وقال: حسن صحيح. وأحمد (12127)وابن حبان (6865) كلاهما بلفظ : (أحد) .

2- مسرح السكن بمعنييه:(المادي ، والمعنوي): وفيه كان الحوار بين أعظم امرأة بين العرب، هي خديجة، وبينه(ع). وفيه نطق(ع) بـ: «زَمَلُونِي زَمَلُونِي». وبـ: «أَيَّ -خَدِيجَةَ! مَا لِي؟!... لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي». وفيه نطقت خديجة بـ: "كَلَّا ؛ أَبْشِرْ. فَوَ اللَّهُ ! لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ- أَبَدًا-فَوَ اللَّهُ؛ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحْمَ ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ ، وَتَكْسِبُ الْمُعْدُومَ ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ

3-مسرح(مأدبة ورقة): حيث كان يستقبل مريديه ، وفيه نطق بالحقيقة المحمدية ، فَقَالَ وَرَقَةُ: " يَا ابْنَ أَخِي! مَاذَا تَرَى ؟".... وَ قَالَ: " هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى مُوسَى. لَيْتَنِي فِيهَا جَدَعًا ، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا ". قَالَ رَسُولُ اللَّهِ « أَوْ مُخْرِجِي هُمْ ». قَالَ وَرَقَةُ: " نَعَمْ. لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ بِمَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا أَوْذَى ؛ وَإِنْ يُدْرِكُنِي يَوْمَكَ حَيًّا ، أَنْصُرُكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا ".
(2)- الحكاية كاملة:

وتلكموها- مفصلة مبينة. فعن عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ (ع) قَالَتْ: " كَانَ أَوَّلُ مَا بُدِيَ³⁴ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ (ع) مِنَ الْوَحْيِ ، الرُّؤْيَا الصَّادِقَةَ فِي النَّوْمِ. فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ³⁵. ثُمَّ حُبِبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ³⁶; فَكَانَ يَلْحَقُ بِغَارِ حِرَاءٍ؛ فَيَتَحَنَّنُ فِيهِ - قَالَ: وَالتَّحَنُّنُ التَّعَبُّدُ -الليالي³⁷ ذَوَاتِ الْعَدَدِ، قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى

³⁴ هو مرسل صحابية. فإنها لم تدرك هذه القضية. فإما أن تكون سمعتها من النبي(ع) أو من صحابي. قال ابن حجر: ويؤيد سماعها منه قولها في أثناء الحديث (قال: فأخذني فغطني). شرح السيوطي على مسلم (1/188).

³⁵ مثل: بالنصب حال. فَلَقِ الصَّبْحِ وَفَلَقُ: ضياؤه. يضرب مثلا للشيء الواضح البين.
³⁶ الخلاء- بالمد: الخلوة. بغار حراء: مصروف وروي- بفتح الحاء والقصر: جبل بينه وبين مكة ثلاثة أميال على يسار الذهاب من مكة إلى منى. شرح السيوطي على مسلم (1/188)

³⁷ يتحنن فيه: في سيرة بن هشام(يتحنف) بالفاء. أي: يتبع الحنيفية. وهي دين إبراهيم. والفاء تبدل ثاء في كثير من كلامهم. (وهو: التعبد)مدرج في الخبر قطعاً. قال ابن حجر: وهو يحتمل أن يكون من كلام عروة أو من دونه. قال: ولم يأت التصريح بصفة تعبده، لكن في رواية عبيد بن عمير -عند ابن إسحاق: فيطعم من يرد عليه من المشركين. وجاء عن بعض المشايخ: أنه كان يتعبد بالتفكر. (الليالي) بالنصب على الظرف. وتعلقه: ب. (يتحنن) لا بالتعبد " شرح السيوطي على مسلم (1/188)

القرآن الكريم أعجوبة في لغته وأساليبه

أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِدَلِّكَ. ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ بِمِثْلِهَا³⁸. حَتَّى فَجِنَتْهُ الْحَقُّ³⁹ - وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ - فَجَاءَهُ الْمَلَكُ، فَقَالَ: "اقْرَأْ". فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ع): «مَا أَنَا بِقَارِيٍّ⁴⁰». قَالَ «فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي⁴¹ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجُهْدُ⁴². ثُمَّ أَرْسَلَنِي⁴³؛ فَقَالَ: "اقْرَأْ". قُلْتُ: "مَا أَنَا بِقَارِيٍّ". فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجُهْدُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي؛ فَقَالَ: "اقْرَأْ". قُلْتُ: "مَا أَنَا بِقَارِيٍّ"⁴⁴. فَأَخَذَنِي الثَّلَاثَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجُهْدُ ثُمَّ أَرْسَلَنِي؛ فَقَالَ: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ}. الْآيَاتِ... إِلَى قَوْلِهِ: {عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ}⁴⁵. فَرَجَعَ

³⁸ في رواية بن إسحاق: "أنه كان يعتكف شهر رمضان". لمثلها: أي: الليالي" شرح السيوطي على مسلم (188/1)

³⁹ فجنته الحق - بكسر الجيم وفتحها وهمزة: أي بغته. فجاءه الملك: الفاء تفسيرية لا تعقبية. فقال: اقرأ - عند بن إسحاق: "أتاني جبريل بنمط من ديباج فيه كتاب: فقال اقرأ..." شرح السيوطي على مسلم (188/1)

⁴⁰ ما: نافية. أي ما أحسن القراءة. واسمها: أنا. وخبرها: بقارئ. وَالْبَاءُ: زَائِدَةٌ لِتَأْكِيدِ التَّنْفِي. أي ما أحسن أن أقرأ. كما جاء في رواية: "ما أحسن أن أقرأ" أي: ما أحسن القراءة. والباء - هنا - لتحسين الكلام. فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ ثَلَاثًا قِيلَ لَهُ (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ) أَي: لَا تَقْرَأْهُ بِقَوْلِكَ وَلَا بِمَعْرِفَتِكَ، لَكِنَّ بِحَوْلِ رَبِّكَ وَعِائِنَتِهِ؛ فَهُوَ يُعَلِّمُكَ. مشارق الأنوار على صحاح الآثار (138/1) التوضيح لشرح الجامع الصحيح (260/2) السيوطي على مسلم (188/1) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (426/7)

⁴¹ فغطني: أي عصرتني وضممتني. وفي مسند الطيالسي: فأخذني بحلقتي. ولابن أبي شيبة: فغممني. ولابن إسحاق: فغطني. والكل بمعنى "شرح السيوطي على مسلم (188/1)

⁴² حتى بلغ مني الجهد بفتح الجيم وضمها لغتان. وهو: الغاية والمشقة. ويرفع الدال ونصبها. أي: بلغ الجهد مني مبلغه وغايته. أو بلغ جبريل مني الجهد. شرح السيوطي على مسلم (188/1)

⁴³ أرسلني: أطلقني.

⁴⁴ فَإِنْ قِيلَ: لِمَ كَرَّرَ ذَلِكَ ثَلَاثًا؟ أَجَابَ أَبُو شَامَةَ بِأَنْ يُحْمَلَ قَوْلُهُ أَوَّلًا "مَا أَنَا بِقَارِيٍّ" عَلَى الْإِمْتِنَاعِ. وَتَأْنِيًا عَلَى الْإِخْبَارِ بِالتَّنْفِي الْمَخْصِ. وَتَأْلِيًا عَلَى الْإِسْتِفْهَامِ. وَيُؤَيِّدُهُ أَنَّ فِي رِوَايَةِ أَبِي الْأَسْوَدِ فِي مَغَازِيهِ عَنْ عُرْوَةَ أَنَّه قَالَ: "كَيْفَ أَقْرَأ؟" وَفِي رِوَايَةِ عُثَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ: "مَاذَا أَقْرَأ؟" وَفِي مُرْسَلِ الرَّهْرِيِّ فِي دَلَائِلِ النَّبِيِّ: "كَيْفَ أَقْرَأ؟" كُلُّ ذَلِكَ يُؤَيِّدُ: أَنَّهَا إِسْتِفْهَامِيَّةٌ. فتح الباري لابن حجر (4/1)

⁴⁵ وفي فتح الباري - ابن حجر (357/12) قال: ويحتمل أن يكون جبريل أشار بقوله: (اقرأ) إلى ما هو مكتوب في (النمط) الذي وقع في رواية بن إسحاق؛ فلذلك قال له: (ما أنا بقارئ) أي: أي: لا أحسن قراءة الكتاب. قال: والأول أظهر. وهو أنه أراد بقوله (اقرأ) التلطف بها. ويؤيده: أن رواية عبيد بن عمير إنما ذكرها عن منام تقدم-بخلاف حديث عائشة- فإنه كان في اليقظة. ثم تكلم شيخنا على ما كان مكتوباً في ذلك النمط، فقال: اقرأ: أي القدر الذي أقرأه إياه. وهي الآيات الأولى من اقرأ باسم ربك. وقال الحافظ ابن حجر: لعل الحكمة في تكرير الإقراء: الإشارة إلى انحصار الإيمان، الذي ينشأ الوحي بسببه، في ثلاث: القول والعمل والنية. وإن الوحي يشتمل على ثلاثة: التوحيد والأحكام والقصاص. الهجرة. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (426/7) (35/10)

بها⁴⁶ رَسُولُ اللَّهِ (ع) تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ⁴⁷ حَتَّى دَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ، فَقَالَ: «زَمِّلُونِي⁴⁸ زَمِّلُونِي». فَرَمَلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ⁴⁹؛ قَالَ لِخَدِيجَةَ: «أَيُّ خَدِيجَةَ! مَا لِي!؟ لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي⁵⁰». فَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ .

قَالَتْ خَدِيجَةُ: "كَلَّا"⁵¹؛ أُنْبِشِرُ. فَوَاللَّهِ! لَا يُخْزِيكَ⁵² اللَّهُ - أَبَدًا - فَوَاللَّهِ؛ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ⁵³ ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ⁵⁴ ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ " .

فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلٍ -وَهُوَ ابْنُ عَمِّ خَدِيجَةَ أَخِي أَبِيهَا. وَكَانَ أَمْرًا تَنْصَرِّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعَرَبِيَّ، وَيَكْتُبُ مِنَ

⁴⁶ فرجع بها. أي: بالآيات.

⁴⁷ ترجف: ترعد وتضطرب. بواده: جمع بادرة. وهي اللحمة التي بين المنكب والعنق تضطرب عند فزع الإنسان.

⁴⁸ أي: غطوني بالثياب ولفوني بها.

⁴⁹ الروع- يفتح الراء: الفرع.

⁵⁰ قيل: خشي الجنون وأن يكون ما رآه من جنس الكهانة. قال الإسماعيلي وذلك قبل حصول العلم الضروري له أن الذي جاءه ملك وأنه من عند الله شرح السيوطي على مسلم (1/ 188)

⁵¹ كلا: نفي وإبعاد. ففي شرح المفصل لابن يعيش (5/ 132) قال سيبويه: هو ردغٌ وزجرٌ. وقال الزجاج: "كلا" ردغٌ وتنبيهٌ. وذلك قولك: " كلا " لمن قال لك شيئاً تنكره، نحو: "فلانٌ يُبغضك". وشبهه. أي: ارتدع عن هذا وتنبه عن الخطأ فيه. قال الله تعالى بعد قوله: {رَبِّي أَهَانِي* كَلَّا} أي: ليس الأمر كذلك، لأنه قد يوسع في الدنيا على من لا يكرمه من الكفار، وقد يضيق على الأنبياء والصالحين للاستصلاح . واختلفوا في معناه؟ فقال أبو حاتم: "كَلَّا" في القرآن على ضربين على معنى الردِّ للأول بمعنى: "لا"، وعلى معنى: "الأ" التي للتنبيه، يُستفتح بها الكلام. وقد قال بعض المفسرين في قوله تعالى: {كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ} "كَلَّا" "لا"، واستغنى؛ معناه: حقاً. وهذا قريبٌ من معنى "الأ". وقال الفراء: "كَلَّا" حرفٌ ردٌّ يكتفى بها كـ"نعم"، و"بلى"، وتكون صلة لما بعدها، كقولك: "كَلَّا وَرَبِّ الْكُعْبَةِ" بمنزلة "إني ورب الكعبة" - كقوله تعالى: {كَلَّا وَالْقَمَرِ} . والحق فيها: أنها تكون رد الكلام قبلها بمعنى "لا"، وتكون تنبيهاً كـ"الأ" و"حقاً" وعليه الأكثرُ. وبحسن الوقف عليها إذا كانت ردًا. بمعنى: ليس الأمر كذلك. ولا يحسن الوقف عليها إذا كانت تنبيهاً بمعنى "الأ" و"حقاً"، فاعرفه. شرح المفصل لابن يعيش (5/ 132)

⁵² لا يخزبك الله: من الخزي. وهو الفضيحة والهوان. نوائب: جمع نائبة وهي الحادثة.

⁵³ الكن: الثقل. قال النووي: ويدخل في حمل الكل الإتفاق على الضعيف واليتيم والعيال وغير ذلك.

⁵⁴ تكسب المعدوم -يفتح التاء في الأشهر وروي بضمها - وعليه: فالعنى: تكسب غيرك المال المعدوم. أي: تعطيه إياه -تبرعا- فحذف أحد المفعولين . وكانت العرب تتمادح بكسب المال، لا سيما قريش؛ وكان النبي(ص) محظوظاً في تجارته. السيوطي على مسلم (1/ 188)

القرآن الكريم أعجوبة في لغته وأساليبه

الْإِنْجِيلِ بِالْعَرَبِيَّةِ، مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ- فَقَالَتْ
حَدِيجَةُ: " يَا ابْنَ عِمِّ ! اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ "

قَالَ وَرَقَةُ: " يَا ابْنَ أَخِي ! مَاذَا تَرَى ؟ "

فَأَخْبَرَهُ النَّبِيُّ (ﷺ) خَبَرَ مَا رَأَى ؛ فَقَالَ وَرَقَةُ: " هَذَا النَّامُوسُ ⁵⁵ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى
مُوسَى . لَيْتَنِي فِيهَا جَدْعًا ، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا " . ذَكَرَ حَرْفًا ...

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) « أَوْ مُخْرَجِي هُمْ ⁵⁶ » .

قَالَ وَرَقَةُ: " نَعَمْ . لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ بِمَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا أَوْذَى ؛ وَإِنْ يُدْرِكُنِي يَوْمَكَ
حَيًّا ، أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا " . ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُؤْفَى ، وَقَفَرَ الْوَحْيُ فِتْرَةً ، حَتَّى

⁵⁵ هذا الناموس : إشارة إلى الملك الذي ذكره النبي (ﷺ) في خبره . وهو اسم لجبريل . وأصله في اللغة: صاحب سر الخير يقال: نمست الرجل . أي: ساررته . ونمست السر: كتمته . أنزل على موسى: في رواية عند أبي نعيم في الدلائل على عيسى . قال النووي: وكلاهما صحيح . شرح السيوطي على مسلم (1/188) الناموس : الوحي .

⁵⁶ بهمة الاستفهام . و(أو) العطف المفتوحة . و(مُخْرَجِي هُمْ) . هَكَذَا الرَّوَايَةُ- وَيَجُوزُ تَخْفِيفُ الْبَاءِ عَلَى وَجْهِ الصَّحِيحِ الْمَشْهُورِ تَشْدِيدِهَا . كَقَوْلِهِ تَعَالَى (بِصُخْرِيٍّ) وَهُوَ جَمْعٌ مُخْرَجٌ . فَالْبَاءُ الْأَوَّلِيُّ بَاءُ الْجَمْعِ . وَالثَّانِيَةُ ضَمِيرُ الْمُتَكَلِّمِ . قَلِبْتَ وَوَاوُ الْجَمْعِ بَاءٌ ، وَأَدغمت في بَاءِ الْإِضَافَةِ . وَفُتِحَتْ لِلتَّخْفِيفِ لِمَّا لَا يَجْتَمِعُ الْكِسْرَةُ ، وَالْبَاءُ أَنْ بَعْدَ كَسْرَتَيْنِ . وَأَصْلُهُ: مُخْرَجُونَ . جَمَعَ اسْمَ الْفَاعِلِ . فَلَمَّا أَضِيفَ إِلَى بَاءِ الْمُتَكَلِّمِ ، سَقَطَتْ نُونُهُ- لِلْإِضَافَةِ- فَانْقَلَبَتْ وَاوُهُ بَاءً ، وَأَدغمت في بَاءِ الْمُتَكَلِّمِ " . وإعراب: (مخرجي هم): وهو خبر مقدم . وهم مبتدأ مؤخر . لأن هم مبتدأ . ومخرجي مقدمات خبره . ولا يجوز العكس لأن مخرجي نكرة . فإن إضافته لفظية ... ويجوز أن يكون مخرجي مبتدأ وهم فاعلا سد مسد الخبر على لغة: (أكلوني البراغيث) . ولو روى (مخرجي) بسكون الباء ، أو فتحها-مخففة- على أنه مفرد: يصح جعله مبتدأ ، وما بعده فاعلا سد مسد الخبر- كما تقول: (أو مخرجي بنو فلان) لاعتماده على حرف الاستفهام ؛ لقوله: (أحي والداك؟) . والمنفصل من الضمان يجري مجرى الظاهر . ومنه قول الشاعر:

(أمنجز أنتم وعدا وثقت به أم اقتفيتم جميعا نهج عرقوب).

روي: إنه كان رجل من العماليق يقال له عرقوب ، فأتاه أخ له يسأله شيئاً ، فقال له عرقوب: " إذا أطلعت هذه النخلة فلك طلعا " . فلما أطلعت ، أتاه للعدة ، فقال: " دعها حتى تصير بلحاً " . فَلَمَّا صَارَتْ بِلْحًا قَالَ: " دعها حتى تشقح ، فلما شقحت ، قال: " دعها حتى تصير رطبا " . وفي رواية: فلما أبلحت أتاه ، فقال له: " دعها حتى تصير زهواً " . فلما أزهت ، قال له: " دعها حتى تصير تمراً " . فلما أتمرت ، عمد إليها عرقوب من الليل ، فجدها ، ولم يعط منها شيئاً . فصار مثلاً في الخلف . وفيه يقول الأشجعي:

(وعدت وكان الخلف منك سجية ... مواعيد عرقوب أخاه بيثرب)

وبعضهم يرويه " بأترب " اسم موضع قال: أنشدني الأصمعي بيثرب . الأمثال لابن سلام (87) شرح النووي على مسلم (1/287) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (1/146) (1/155) و(1/187) المجلس الصالح الكافي والأنيب الناصح الشافعي (693)

حَزَنَ رَسُولُ اللَّهِ (ع). وفي رواية فَقَالَ وَرَقَهُ: "هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيَّ مُوسَى. يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَدَعًا أَكُونُ حَيًّا ، حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ع): «أَوْ مُخْرِجِيَّ هُمْ».

فَقَالَ وَرَقَهُ: " نَعَمْ . لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُدِي ، وَإِنْ يُدْرِكُنِي يَوْمُكَ أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا " ... ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَهُ أَنْ تُوفِّيَ ، وَفَتَرَ الْوَحْيُ فِتْرَةً حَتَّى حَزِنَ النَّبِيُّ (ع) فِيمَا بَلَّغْنَا حُزْنًا غَدَا مِنْهُ مَرَارًا كِي يَتَرَدَّى مِنْ رُءُوسِ شَوَاهِقِ الْجِبَالِ ، فَكَلَّمَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ لَكِي يُلْقَى مِنْهُ نَفْسَهُ ، تَبَدَّى لَهُ جَبْرِيْلُ ، فَقَالَ: " يَا مُحَمَّدُ! إِنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا " .

فَيَسْكُنُ لِذَلِكَ جَأْشُهُ⁵⁷ ، وَتَقَرُّ نَفْسُهُ⁵⁸ ، فَيَرْجِعُ . فَإِذَا طَالَتْ عَلَيْهِ فِتْرَةُ الْوَحْيِ ؛ غَدَا لِثَلِّ ذَلِكَ ؛ فَإِذَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ تَبَدَّى لَهُ جَبْرِيْلُ ؛ فَقَالَ لَهُ: مِثْلَ ذَلِكَ⁵⁹ . وعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ (ر) قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ع) وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فِتْرَةِ الْوَحْيِ: «بَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ فَرَفَعْتُ بَصَرِي ، فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِسٌ عَلَيَّ كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ؛ فَفَرَّقْتُ مِنْهُ ؛ فَرَجَعْتُ فَقُلْتُ: " زَمَلُونِي زَمَلُونِي " . فَدَثَرُوهُ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيَّهَا الْمُدَّثِرَ * فَمُ فَاَنْذِرُ * وَرَبَّكَ

⁵⁷ جأشه: أي: قلبه . مقدمة الفتح (94) وفي فتح الباري (12/360) مكث أياما بعد مجيء الوحي لا يرى جبريل ، فحزن حزنا شديدا حتى كان يغدو إلى (ثبير) مرة . وإلى (حراء) أخرى يريد ان يلقي نفسه . فبينما هو كذلك عامدا لبعض تلك الجبال إذ سمع صوتا فوقف فزعا ثم رفع رأسه فإذا جبريل على كرسي بين السماء والأرض -متريعا- يقول: يا محمد أنت رسول الله حقا: وأنا جبريل .. فانصرف ، وقد أقر الله عينه ، وانبسط جأشه . ثم تتابع الوحي " .

⁵⁸ فيسكن لذلك جأشه: وقد تسهل . قال الخليل: الجأش النفس . فعلى هذا فقولُه (وتقر نفسه) تأكيد لفظي . فتح الباري - ابن حجر (12/360)

⁵⁹ صحيح البخاري (23/114) (16/390) أي لُفُونِي ، يُقَالُ زَمَلَهُ فِي نُوْبِهِ إِذَا لَمَّهُ فِيهِ ، وَفِي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ : " دَثَرُونِي وَصُبُّوا عَلَيَّ مَاءً بَارِدًا " . قَالَ الْخَافِضُ : وَكَانَ الْحِكْمَةُ فِي الصَّبِّ بَعْدَ التَّدَثُّرِ : طَلَبُ خُصُولِ السُّكُونِ لِمَا وَقَعَ فِي الْبَاطِنِ مِنَ الْإِنْرِعَاجِ ؛ أَوْ أَنَّ الْعَادَةَ أَنَّ الرَّعْدَةَ تَعْفُفُهَا الْحَيُّ ، وَقَدْ عُرِفَ مِنَ الطَّبِّ النَّبَوِيِّ مُعَالَجَتُهَا بِالْمَاءِ الْبَارِدِ . زمل : لف وغطى . تحفة الأحوذى (8/199)

القرآن الكريم أعجوبة في لغته وأساليبه

فَكَبَّرَ * وَثِيَابَكَ فَطَهَّرَ * وَالرَّجَزَ فَأَهْجُرُ{.. قَالَ : ثُمَّ تَتَابَعِ الْوَحْيُ⁶⁰. وفي رواية⁶¹: «
ثُمَّ حَيَّ الْوَحْيُ، وَتَتَابَعِ⁶²». إذاً. بهذا الوحي:- " يَا مُحَمَّدُ! إِنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا"- قد
علم أنه نبي؛ أما في البداية لم يكن يعلم ذلك.

اللسان في القرآن الكريم

لكل أمة لسان تتواضع عليه، حتى تتواصل فيما بينها؛ والرسول المبتعث
من الله، كان لسانه، لسان المرسل إليهم، حتى لا يكون لهم العذر بترك الخطاب،
لاختلاف اللسان. قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ
فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ⁶³}.
ومعنى {بِلِسَانِ قَوْمِهِ} متكلماً بلغة من أرسل إليهم من الأمم، المتفقة على
لغة؛ سواء بعث فيهم أولاً⁶⁴. أي: بلغتهم. قال ابن الأنباري: ومعنى اللغة- عند
العرب: الكلام المنطوق به. وهو مأخوذ من قولهم: (لَغَا الطائرُ يَلُغُو): إذا صَوَّتَ
في الغلس⁶⁵.

⁶⁰ صحيح البخاري (391/16) دثره: غطوه بما يستدفع به. الفترة: الانقطاع. فرقت: خشيت.

⁶¹ صحيح البخاري (311/16)

⁶² ثم حي الوحي: أي: كثر نزوله وازداد. وفيه طباق لفترة الوحي؛ ولما لم يكن انقطاعاً كلياً، عبر بالفترة لا بالبرود. تتابع: تأكيد
معنوي. شرح السيوطي على مسلم (192/1)

⁶³ [إبراهيم: 4].

⁶⁴ وقيل: بلغة قومه الذين هو منهم وبعث فيهم. تفسير الألوسي (315/9)

⁶⁵ زاد المسير (18/4). الدجى: ظلام الليل. والغلس: ظلام آخر الليل. والتغليس: خلاف النور.

عبد القادر منصور

وقراً أبو السَّمَّال⁶⁶، وأبو الجوزاء⁶⁷.

⁶⁶ أبو السَّمَّالُ الغَدَوِيُّ، البَصْرِيُّ المَقْرِيُّ. [151 - 160 هـ] هو: قَعْنَبُ بْنُ هَلَالِ بْنِ أَبِي قَعْنَبٍ. لَهُ قِرَاءَةٌ شَاذَةٌ فِي "الْكَامِلِ" لِأَبِي الْقَاسِمِ الْهَنْدَلِيِّ، وَفِي غَيْرِهِ. وَأَسْنَدُ الْهَنْدَلِيِّ قِرَاءَةَ أَبِي السَّمَّالِ عَنْ هِشَامِ الْبَرْبَرِيِّ عَنْ عِبَادِ بْنِ رَاشِدٍ عَنِ الْحَسَنِ عَنْ سَمْرَةَ عَنْ عَمْرِو. وَهَذَا سِنْدٌ لَا يَصِحُّ. وَفِي غَايَةِ النِّهَايَةِ (1: 287) " لَهُ اخْتِيَارٌ فِي الْقِرَاءَةِ شَاذٌ عَنِ الْعَامَةِ ". وَفِي لِسَانِ الْمِيزَانِ ت أَبِي غَدَةَ (9/ 86) لَهُ حُرُوفٌ شَاذَةٌ لَا يَعْتَمَدُ عَلَى نَقْلِهِ، وَلَا يُوَثَّقُ بِهِ ". رَوَاهَا عَنْهُ أَبُو زَيْدٌ سَعِيدُ بْنُ أَوْسٍ الْأَنْصَارِيُّ. قَالَ الْهَنْدَلِيُّ: إِمَامٌ فِي الْعَرَبِيَّةِ. وَقَالَ: قَالَ أَبُو زَيْدٍ: طَفَّتِ الْعَرَبُ كُلُّهَا فَلَمْ أَرْ فِيهَا أَعْلَمَ مِنْ أَبِي السَّمَّالِ. وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ السَّجِسْتَانِيُّ: كَانَ أَبُو السَّمَّالِ يَقْطَعُ لَيْلَةَ قِيَامًا حَتَّى أَخَذَتْ عَنْهُ هَذِهِ الْقِرَاءَةَ، وَلَمْ يُقِرِّ النَّاسُ بِأَخْذِ عَنِّهِ فِي الصَّلَاةِ، وَكَانَ صَوَامًا قَوَامًا، ثُمَّ قَالَ: وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الْقَطْعِيُّ: كَانَ أَبُو السَّمَّالِ فِي زَمَانِهِ يَقْدَمُ عَلَى الْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ. وَقَالَ أَبُو زَيْدٍ: أَعْطَى مَرْوَانَ بْنَ مُحَمَّدٍ أَبَا السَّمَّالِ أَلْفَ دِينَارٍ؛ فَوَلَّى اللَّهُ مَا تَرَكَ مِنْهَا حَبَّةً إِلَّا تَصَدَّقَ بِهَا ". تَارِيخُ الْإِسْلَامِ ت بَشَار (4/ 187).

⁶⁷ أَبُو الْجَوْزَاءِ: أَوْسُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الرَّبِيعِيِّ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَعَائِشَةَ. مِنْ الطَّبَقَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ التَّابِعِينَ. رَوَى عَنْهُ أَبُو عَلِيٍّ الْحَنْفِيُّ: قَالَ: صَحِبَتْ ابْنُ عَبَّاسٍ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً فَمَا بَقِيَ فِي الْقُرْآنِ آيَةٌ إِلَّا سَأَلْتَهُ عَنْهَا. وَلَمْ يَلْعَنْ أَبُو الْجَوْزَاءِ شَيْئًا قَطُّ؛ وَلَا أَكَلَ طَعَامًا مَلْعُونًا. وَكَانَ يَقُولُ: " لِأَنَّ تَمْتَلِي دَارِي قَرْدَةً وَخَنَازِيرَ: أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَجَاوِرَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ! ". وَكَانَ يَقُولُ: " مَا مَارَيْتُ أَحَدًا قَطُّ؛ وَلَا كَذَبْتُ أَحَدًا قَطُّ ". وَكَانَ يُوَاصِلُ فِي الصُّومِ بَيْنَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ، ثُمَّ يَقْبِضُ عَلَى ذِرَاعِ الشَّاةِ: فَيَكَادُ يَحْطِمُهَا ". الْإِكْمَالُ (153 /1) الْوَاقِفِيُّ بِالْوَفِيَّاتِ (3/ 316)

القـــرآن الكريم أعجوبة في لغته وأساليبه

وأبو عمران⁶⁸: {بَلِسُنْ} على وزن (ذِكر)؛ وهي لغة في لسان (كْرِيش ورياش).
وقرأ أبو رجاء⁶⁹، وأبو المتوكل⁷⁰، والجُحدري⁷¹: {بَلِسُنْ}. وهو جمع لسان- كعماد،
وعمد. وقرئ: {بَلِسُنْ} وهو مخفف لُسُن- كرسل، ورسَل، وكعُمُد، وعُمُد⁷² ".
والألسن كثيرة، ومختلفة، وقد عد الله اختلافها -في قرآنه- آية للعالمين، إذ
قال في محكم كتابه: {وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ
وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ⁷³}. ومعنى: {واختلاف أَلْسِنَتِكُمْ} أي: لغاتكم.

⁶⁸ موسى بن جرير: أبو عمران الرقي الضبرير: مقرئ نحوي مصدر حاذق مشهور. أخذ القراءة -عرضاً- عن السوسي وهو أجل أصحابه، روى القراءة عنه - عرضاً- أحمد بن الحسين الكتاني وغيره. وقال إنه أضيف من لقيته ممن ينتحل قراءة أبي عمرو. وكان لأبي عمران اختيارات يخالف فيها قراءته على السوسي، وكان يعتمد في ذلك على العربية. فمما كان يختاره ترك الإشارة إلى حركة الحروف مع الإدغام وتفخيم فتحه الراء إذا كان بعدها ياء قد سقطت لساكن. عن نظيف: قرأت على موسى بن جرير النحو الضبرير بالرقعة سنة خمس وثلاث مائة. ثم بعد ذلك قدم حلب. وقال الذهبي: "كان بصيراً بالإدغام، ماهراً في العربية". مات أبو عمران حول سنة (310) هـ. ونظيف هو بن عبد الله، أبو الحسن الحلبي المقرئ. [الوفاة: 341 - 350 هـ] من جلة المقرئين وكبارهم. قرأ على عبد الصمد بن محمد العيوني سنة (209) ولم يكمل عليه. وسمع منه كتاب عمرو بن الصبح عن حفص. وقرأ على موسى بن جرير الرقي، وأحمد بن محمد اليقطيني. أخذ عنه عبد المنعم بن غليون. تاريخ الإسلام ت بشار (7/ 916)

⁶⁹ أبو رجاء (عمران بن تيم. ويقال: ابن ملحان). العطاردي البصري التابعي الكبير. ولد قبل الهجرة بإحدى عشرة سنة. وكان مخضرمًا: أسلم في حياة النبي (ص) ولم يره. وعرض القرآن على ابن عباس؛ وتلقنه من أبي موسى؛ ولقي أبا بكر الصديق؛ وحدث عن عمر وغيره من الصحابة (ر) روى القراءة - عرضاً - على أبو الأشهب العطاردي. وقال: كان أبو رجاء يختم القرآن في كل عشر ليال. وعن أبي رجاء قال: كان أبو موسى يعلمنا القرآن خمس آيات خمس آيات. قال ابن معين: مات سنة (105). وله (127) سنة أو: (130). غاية النهاية (1: 268)

⁷⁰ أبو المتوكل الناجي. اسمه: علي بن داود من بني سامة بن لؤي بن غالب. البصري، من بني ناجية بن سامة بن لؤي. روى عن جابر بن عبد الله، وربيعه الجرشي، وعبد الله بن عباس، وأبي سعيد الخدري، وأبي هريرة، وعائشة. روى عنه بكر بن عبد الله المزني، وثابت البناني، وعاصم الأحول، وقتادة، وآخرون. روى له الجماعة له نحو (15) حديثًا. ثقة. مات سنة (108) هـ. مغاني الأخيار (3/ 403) مشاهير علماء الأمصار (91)

⁷¹ عاصم بن أبي الصباح العجاج. وقيل: ميمون أبو المجشّر الجحدري البصري. أخذ القراءة -عرضاً- عن سليمان بن قتة عن ابن عباس. وقرأ على نصر بن عاصم و يحيى بن يعمر. وروى حروفاً عن أبي بكر عن النبي (ص) قرأ عليه -عرضاً- أبو المنذر سلام بن سليمان وعيسى بن عمر الثقفي. وروى عنه الحروف أحمد بن موسى الولوي وغيره. وقراءته في (الكامل والاتضح) فيها مناكير. ولا يثبت سندها. والسند إليه صحيح في قراءة يعقوب من قراءته على سلام عنه. قال خليفة بن خياط وغيره: مات قبل الثلاثين ومائة. وقال المدائني: سنة ثمان وعشرين ومائة. غاية النهاية في طبقات القراء (1/ 345)

⁷² تفسير الألوسي (9/ 315) تفسير أبي السعود (4/ 16).

⁷³ [الروم/22]

بأن علم سبحانه كل صنف لغته ، أو ألهمه -جل وعلا- وضعها ، وأقدره عليها ، فصار بعض يتكلم بالعربية ، وبعض بالفارسية ، وبعض بالرومية إلى غير ذلك مما الله تعالى أعلم بكميته⁷⁴ . قال الزمخشري: "الألسنة: اللغات، أو أجناس النطق، وأشكاله . خالف عزّ وعلا بين هذه الأشياء، حتى لا تكاد تسمع منطقيين متفقين في همس واحد، ولا جهارة، ولا حدّة، ولا رخاوة ، ولا فصاحة، ولا لكنة ، ولا نظم ، ولا أسلوب، ولا غير ذلك من صفات النطق وأحواله⁷⁵ . أو أجناس نطقكم وأشكاله، فإنك لا تكاد تسمع منطقيين متساويين في الكيفية من كل وجه⁷⁶ . وقيل: المراد بالألسن: اختلاف الأصوات⁷⁷ . ولا تناقض في وجهات النظر بين المفسرين في تبين المراد، وإنما نظر كل مفسر من زاوية من زوايا اللسان، فعبر عنها.

والثاقفون للآية صنفان: خاص وعام. حيث قرئ في: {للعالمين} بقراءتين متواترتين؛ فقرأ حفصٌ بكسر اللام. جعله جمع عالم. ضدّ الجاهل. أي: المتصفين بالعلم، ونحوه. {وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ}⁷⁸. والباقون بفتحها. لأنها آياتٌ لجميع الناس- وإن كان بعضهم يَغْفُلُ عنها. وفيه دلالة على وضوح الآيات، وعدم خفائها على أحد من الخلق كافة. قال القشيري : واختصاص كلِّ شيء من هذه ببعض جائزات حكمها؛ شاهدٌ عدلٌ ، ودليلٌ صدقٍ . يناجي أفكار المستيقظين، وتنادي على أنفسها: أنها ، بأجمعها ، بتقدير العزيز العليم⁷⁹.

⁷⁴ تفسير الألوسي - (ج 15 / ص 349)

⁷⁵ الكشف - (3 / 479)

⁷⁶ تفسير أبي السعود - (7 / 56)

⁷⁷ اللباب في علوم الكتاب - (15 / 397)

⁷⁸ [العنكبوت : 43]

⁷⁹ تفسير الألوسي (15 / 349) الدر المصون في علم الكتاب المكنون (1 / 4036) البحر المديد - (5 / 512)

القرآن الكريم أعجوبة في لغته وأساليبه

اللسان صنفان:

واللسان لسانان: لسان التحدث، ولسان اليد (الكتابة). وقد عرّف لسان

المحادثة، بـ: "اللغة التي يُتحدّث بها. أو هو مجاز مشهور عن التكلم".

هذا؛ وقد جاء في القرآن لفظاً: (اقرأ) بصيغة الأمر، ثلاث مرات: مرتان في سورة العلق؛ ومرة في سورة الإسراء. وذلك للحث على تعلم اللسان: {اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا⁸⁰}. {اقْرَأْ} على إرادة القول. وعن قتادة: يقرأ ذلك اليوم من لم يكن في الدنيا قارئاً⁸¹. و{اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ}. و{اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ⁸²}.

فأول شيء [نزل] من القرآن هذه الآيات الكريمة المباركات..... والعلم تارة يكون في الأذهان، وتارة يكون في اللسان، وتارة يكون في الكتابة بالبنان: (ذهني- ولفظي- ورسمي) والرسمي يستلزمهما من غير عكس. فلهذا قال: {اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ}.

وفي الأثر: "قيدوا العلم بالكتابة"⁸³.

وفيه أيضاً: "من عمل بما علم رزقه الله علم ما لم يكن [يعلم]. فأما صاحب العلم فيزداد رضا الرحمن، وأما صاحب الدنيا فيتمادى في الطغيان.

⁸⁰ [الإسراء: 14]

⁸¹ الكشاف (424/3) تفسير أبي السعود (4/179)

⁸² [العلق: 1-3]

⁸³ جاء عن عمر (ر) - موقوفا- رواه الحاكم في المستدرک (106/1) وابن أبي شيبة في المصنف (49/9) والدارمي في السنن برقم (503). وعن أنس - موقوفا- رواه الحاكم في المستدرک (106/1) والرامهرمزي في المحدث الفاضل (ص368)، وجاء - مرفوعاً- من حديث أنس، رواه الخطيب في تقييد العلم - (ص70) والرامهرمزي في المحدث الفاضل (ص368). ومن حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، رواه الحاكم في المستدرک (106/1) وابن عبد البر في جمع بيان العلم (73/1) والموقوف أصح.

عبد القادر منصور

قال ثم قرأ عبد الله: {إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّا كَافِرٌ} وقال
للآخر: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} ⁸⁴. وقد رُوي هذا - مرفوعاً إلى رسول
الله (ﷺ): "منهومان لا يشبعان: طالب علم، وطالب دنيا" ⁸⁵ / ⁸⁶.

صيغ الجمع في (اللسان)، والأحرف السبعة:

كانت البداية رسالاً هكذا، كل بلهجتته، ثم استقرت أخيراً وفق العرضة
الجبريلية الأخيرة، بلسان قريش - أصلاً - واقتباساً لمفردات، وأسلوب، من لهجات
القبائل العربية الأخرى.

وعودة إلى قوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ
فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} ⁸⁷.

وتعريباً على قراءات صيغ الجمع {بلسن} {بلسن} و{بلسن} في (اللسان)،
إشارة إلى تعدد الألسنة في العربية، وأن أحرف القرآن لم تكن ذات حرف واحد؛
وإنما - كما ثبت في السنة - شملت سبعة من الأحرف العربية، وهي غيض من
فيض؛ لأن لهجات العربية، هي كثيرة الأصوات، وأساليبها متنوعة. المحور فيها
لسان قريش.

ومما يؤكد ذلك، الحديث الصحيح الآتي، قال رسول الله (ﷺ): "أتاني جبريل،
فقال: "إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ" ⁸⁸. فقلت: "أَسْأَلُ اللَّهَ

⁸⁴ [فاطر: 28]

⁸⁵ رواه الحاكم في المستدرک (92/1) من طريق قتادة، عن أنس به مرفوعاً، ورواه الطبراني في المعجم الكبير (223/10) من طريق
زيد بن وهب، عن ابن مسعود به مرفوعاً، وفي إسناده ضعيف.

⁸⁶ تفسير ابن كثير (437/8)

⁸⁷ [إبراهيم: 4].

⁸⁸ وفي رواية: (خُذِ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ) و(أَنْ تَقْرَأَ عَلَى) و(أَنْ تُقْرَأَ أُمَّتَكَ) و(يَا مُحَمَّدُ اقْرَأِ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ).

القرآن الكريم أعجوبة في لغته وأساليبه

مُعَافَاتُهُ وَمَغْفِرَتُهُ ، وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ " . ثم أتاني الثانية؛ فقال: " إن الله يأمرك أن تُقرئ أمتك القرآن على حرفين " . فقلت: " أسأل الله معافاته ومغفرته؛ وإن أمتي لا تطيق ذلك " . ثم جاءني الثالثة؛ فقال: " إن الله يأمرك أن تُقرئ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف " . فقلت: " أسأل الله معافاته ومغفرته؛ وإن أمتي لا تطيق ذلك " . ثم جاءني الرابعة؛ فقال: " إن الله يأمرك أن تُقرئ أمتك القرآن على سبعة أحرف؛ فَأَيُّمَا حَرْفٍ قَرَأُوا عَلَيْهِ، فَقَدْ أَصَابُوا ⁸⁹ " .

قال القاضي عياض: هو توسعة وتسهيل لم يقصد به الحصر.....

ويقول شيخ الإسلام (ابن تيمية): " وَلَا نِزَاعَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ الْحُرُوفَ السَّبْعَةَ الَّتِي أُنزِلَ الْقُرْآنُ عَلَيْهَا لَا تَتَّضَمَّنُ تَنَاقُضَ الْمَعْنَى وَتَضَادَّهُ؛ بَلْ قَدْ يَكُونُ مَعْنَاهَا مُتَّفِقًا أَوْ مُتَقَارِبًا كَمَا قَالَ (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ) (ز): " إِنَّمَا هُوَ كَقَوْلِ أَحَدِكُمْ أَقْبِلْ وَهَلُمَّ وَتَعَالَ " . وَقَدْ يَكُونُ مَعْنَى أَحَدِهِمَا لَيْسَ هُوَ مَعْنَى الْآخَرَ؛ لَكِنْ كَلَا الْمَعْنِيَيْنِ حَقٌّ وَهَذَا اخْتِلَافٌ تَنَوُّعٌ وَتَغَايُرٌ لَا اخْتِلَافٌ تَضَادٌّ وَتَنَاقُضٌ . وَهَذَا كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ عَنِ النَّبِيِّ (ع): " أَنْزَلَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ، إِنْ قُلْتَ: غَفُورًا رَحِيمًا أَوْ قُلْتَ: عَزِيزًا حَكِيمًا؛ فَاللَّهُ كَذَلِكَ مَا لَمْ تَخْتِمْ آيَةَ رَحْمَةٍ بِآيَةِ عَذَابٍ أَوْ آيَةَ عَذَابٍ بِآيَةِ رَحْمَةٍ ⁹⁰ "

لكن هذا بتوقيف من النبي (ع) عن ربه، لا بالأهواء والأراء. قال أبو حاتم السجستاني: نزل بلغة قريش، وهذيل، وتميم، والأزد، وربيعه، وهوازن، وسعد بن بكر. وقال أبو عبيد: ليس المراد أن كل كلمة تقرأ على سبع لغات؛ بل اللغات السبع مفرقة فيه، فبعضه بلغة قريش، وبعضه بلغة هذيل، وبعضه بلغة

⁸⁹ أخرجه مسلم (821) ، وأبو داود (1478) والنسائي (939) . و أحمد (21210) ، والطبايسي (558) .

⁹⁰ «مجموع الفتاوى»: (389/13).

هوازن، وبعضه بلغة اليمن، وغيرهم. قال: وبعض اللغات أسعد بها، من بعض، وأكثر-نصبياً⁹¹

ولغة القرآن ليست قاصرة على لهجة قريش، وإنما لغته هي لغة أدبية نموذجية، تمكّن بها العرب في جاهليتهم من الحديث بعضهم إلى بعض، وهي لغة منتقاة من فصحي لهجات العرب جميعاً، ولا تعود إلى قبيلة واحدة. وهذه اللغة الأدبية الراقية النموذجية، آلت إلى قريش فاحتضنتها؛ لكونها مركزاً للجزيرة العربية. ولعل حديثاً لأبي شامة يؤكد هذا الرأي يقول فيه: "القرآن العربي فيه من جميع لغات العرب؛ لأنه أنزل عليهم كافة، وأبيح لهم أن يقرؤوه على لغاتهم المختلفة، فاختلفت القراءات فيه لذلك"⁹². فيُعبر عن المعنى فيه، مرةً بعبارة قريش، ومرةً بعبارة هذيل، ومرةً بغير ذلك بحسب الأفضح، والأوجز في اللفظ، وإن كان أغلبه نزل بلغة قريش - كما قال ابن عبد البر: لقول عثمان بن عفان (ر) أثناء جمع المصحف: "ما اختلفتم أنتم و(زيد)، فاكتبوه بلغة قريش؛ فإنه نزل بلغتهم"⁹³. ويقول أحد الباحثين: "إنه يوجد في القرآن أكثر من خمسمائة جذر لغوي يعود إلى لغات متباينة متناثرة"⁹⁴

وسبب إنزاله على سبعة التخفيف والتسهيل. ولذلك قال النبي ﷺ "هون

على أمي"

فَعَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا فِي الْمَسْجِدِ ، فَدَخَلَ رَجُلٌ فَقَرَأَ قِرَاءَةً أَنْكَرْتُهَا عَلَيْهِ ، ثُمَّ جَاءَ آخَرَ فَقَرَأَ قِرَاءَةً سِوَى قِرَاءَةِ صَاحِبِهِ ، فَلَمَّا انصَرَفْنَا دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَرَأَ قِرَاءَةً أَنْكَرْتُهَا عَلَيْهِ ، ثُمَّ

⁹¹ الإلتقان (1/ 134) وفي رواية: "وبعض الأحياء أسعد بها، وأكثر حظاً فيها، من بعض. وذلك بين في أحاديث تترى - فضائل القرآن لابن كثير - (1 / 54)

⁹² إبراز المعاني 713 الخصائص اللغوية لراوية حفص (ص: 13)

⁹³ تفسير القرطبي (1/90-91 مقدمة)، بتصرف.

⁹⁴ دراسة في اللهجات 14

القرآن الكريم أعجوبة في لغته وأساليبه

قَرَأَ هَذَا سِوَى قِرَاءَةِ صَاحِبِهِ" فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «لِلرَّجُلِ: «اقْرَأْ». فَقَرَأَ، ثُمَّ قَالَ لِلآخَرِ: «اقْرَأْ». فَقَرَأَ فَقَالَ: «أَحْسَنْتُمَا أَوْ أَصَبْتُمَا».

فَلَمَّا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَسَنَ شَأْنُهُمَا سَقِطَ فِي نَفْسِي، وَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ - قَالَ: فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا عَشِيَنِي ضَرَبَ بِيَدِهِ فِي صَدْرِي ، فَفِضْتُ عَرَقًا وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى اللَّهِ فَرَقًا ، ثُمَّ قَالَ: «يَا أَبُؤَبَيْنُ بَنُ كَعْبٍ إِنَّ رَبِّي أَرْسَلَ إِلَيَّ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ ، قَالَ: فَرَدَدْتُ عَلَيْهِ يَا رَبِّ هَوْنٌ عَلَى أُمَّتِي.

فَرَدَّ عَلَيَّ الثَّانِيَةَ أَنْ أَقْرَأَ عَلَى حَرْفٍ. قَالَ قُلْتُ: " يَا رَبِّ هَوْنٌ عَلَى أُمَّتِي. فَرَدَّ عَلَيَّ الثَّلَاثَةَ أَنْ أَقْرَأَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ . وَلَكَ بِكُلِّ رَدَّةٍ رَدَدْتَهَا مَسْأَلَةٌ تَسْأَلْنِيهَا". فَقُلْتُ: "اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَأُمَّتِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَأُمَّتِي، وَأَخَّرْتُ الثَّلَاثَةَ إِلَى يَوْمٍ يَرْغَبُ إِلَيَّ فِيهِ الْخَلْقُ حَتَّى إِبْرَاهِيمَ ﷺ»⁹⁵.

طبيعة التنزيل

وثمة طبيعتان في التنزيل الدنيوي على رسول الله: طبيعة حالية، وطبيعة ذاتية.

فالتبيعة الحالية: كانت وفق التنجيم . والتنجيم في اللغة: هو التفريق . يقال نجم المال تنجيماً: إذا أداه نجوماً. وتنجيم القرآن: أي نزوله مفرقا على دفعات. لقد ابتداء إنزاله في {لَيْلَةَ مُبَارَكَةٍ} ووصف هذه الليلة بأنها: {لَيْلَةُ الْقَدْرِ} وهي إحدى ليالي رمضان، كما في قوله: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ}.

وكانت أولى آياته (اقرأ) إلى (مالم يعلم) ثم استمر نزوله نجوماً بعد ذلك، متدرجا مع الوقائع والأحداث. ثم إن كتاب الله لم يصرح إلا بتفريق الوحي

⁹⁵ السنن الكبرى للبيهقي وفي ذيله الجوهر النقي (2/ 383) الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم (1/ 252)

وتنجيمه، ومنه يفهم بوضوح: أن هذا التدرج كان مثار اعتراض المشركين الذين ألفوا أن تلقى القصيدة جملة واحدة، وسمع بعضهم من اليهود: أن التوراة نزلت جملة واحدة . فأخذوا يتساءلون عن نزول القرآن نجوماً، وودوا لو ينزل كله مرة واحدة، وقد ذكر الله اعتراضهم في سورة الفرقان، ورد عليه: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً، وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا}.

وفي لمسات بيانية في نصوص من الترتيل (813) قال تعالى في سورة النساء: (إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زُبوراً {163}). فذكر تعالى جملة أشياء أنه أوحى إلى مجموعة من الأنبياء، وهم يؤمنون بهم مع أنهم لم يأتوهم بما طلبوا، فهم آمنوا بنوح وإبراهيم وإسماعيل ويعقوب وإسحق ويونس وغيرهم من الأنبياء، فيقول تعالى: أنه كما أوحى إلى هؤلاء الأنبياء، أوحى إلى الرسول ﷺ فإذا كانوا هم يؤمنون بأولئك بدون كتاب. فإذا الوحي يجب أن يكون كافياً. هذا أمر . والأمر الآخر (إننا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح) سواء كان معهم كتب، أو لم يكن معهم، وكما آتينا داوود زبوراً. بمعنى: آتيناك كتاباً كما آتينا داوود زبوراً.

فلماذا خصّ الزبور؟ لأنّ الزبور نزل منجماً. أي: بالتقسيم. كما أنزل القرآن على الرسول ﷺ. ويخاطب تعالى الكافرين بقوله: أنتم تؤمنون بداوود، وقد نزل عليه الزبور منجماً، وقد آتيناك كتاباً كما آتينا داوود، وتؤمنون بالأنبياء الذين أوحينا إليهم، وقد أوحينا إليك كما أوحينا إلى باقي الأنبياء. وكما أرسلنا رسلاً أرسلنا محمداً أيضاً: (وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ).

القرآن الكريم أعجوبة في لغته وأساليبه

مدة التنجيم: نزل القرآن منجماً في مدة ثلاث و عشرين سنة⁹⁶ . وكمية النازل في كل نجم : كانت كمية الآيات تتفاوت في النزول , فأحيانا كانت آية واحدة , و أحيانا بعض آية، و أحيانا كانت تنزل على النبي ﷺ الآيتين و الخمس و العشر ، و أحيانا تنزل سورة كاملة- كما في سورة الفاتحة و الكوثر و المرسلات و غيرها .

حكم التنجيم وأساراه: 1. تثبيت فؤاد النبي ﷺ. 2. تسهيل حفظه . 3. مواءمة الحجة بعد الحجة . 4. فضح المنافقين و المشركين . 5. التذكير و التأثير في النفس . 6. رعاية المجتمع الإسلامي و الأخذ بيده في الحياة الجديدة على ضوء هداية الله عز و جل .

والطبيعة الذاتية: (كونه بلسان عربي قح)

ولا يختلف عاقلان، على أن الله قد خص القرآن باللسان العربي المبين، فلم تشبهه شائبة الدخيل، فهو خال من كل ما يعجم، قُح⁹⁷ في البيئة، والمنشأ. قال الجمهور: ليس في كتاب الله- سبحانه -شيءٌ بغير لغة العرب لقوله تعالى: {إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا....}98 . وقال تعالى: {وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِّلْمُحْسِنِينَ}99. لقد صرحت الآية هذه : بأنه لسان عربي. وفائدة هذه الحال (لِسَانًا عَرَبِيًّا)-مع أن عربيته أمر معلوم لكل أحد-الإشعار بالدلالة على أن كونه مصدقاً-كما دل على : أنه حق- دل على: أنه وحي، وتوقيف

⁹⁶ البرهان (1 / 228)، والإتقان (1 / 146)

⁹⁷ المُقْحُ: الخالص من اللؤم والكرَم ومن كل شيء . وأعرابيُّ قُحٌّ وقُحاح: مَحْضٌ خالصٌ . و قيل: هو الذي لم يَدْخُلِ الأُمصارِ ولم يَخْتَلطْ بأهلها وهو من ذلك. وقال ابن دريد: عَرَبِيٌّ قُحٌّ: مَحْضٌ. فلم يَخُصَّ أعرابيا من غيره. وأعراب أفحاح والأنثى قُحَّةٌ. المحكم والمحيط الأعظم في اللغة (3/ 58) . وتقول: قرأته في الصحاح وسمعته من الأفحاح . وعربية قُحَّةٌ : محضةٌ . وهو من قحهم : من صميمهم . أساس البلاغة للزمخشري (2/ 223)

⁹⁸ [الزخرف: 3]

⁹⁹ [الأحقاف: 12]

من الله تعالى¹⁰⁰. والأصل: وهو مصدق لساناً. وقيل: هو منصوب بنزع الخافض. أي: مصدق بلسان عربي¹⁰¹. وقال: {وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (192) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (194) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ¹⁰²}. وهنا زاد وصفاً آخر. وهذا القرآن لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة¹⁰³. على ما يشعر به وصفه بمبين، بعد وصفه بعربي¹⁰⁴. وقال: {وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا¹⁰⁵}. والمراد بالحكم: ما فيه من الأحكام¹⁰⁶. أو حكمة عربية، مترجمة بلسان العرب¹⁰⁷. والحكم: هو المعنى. والمقصود به: القرآن.

وهو كتاب؛ والكتاب مَبْنِي وَمَعْنَى. وأتى بوصف المبالغة-إشارة إلى أن القرآن في حَادِ ذاته حكم، بل هو الحكم ذاته. وذلك؛ حين تصف قاضياً يحكم تمام العدل؛ تقول: "قَاضٍ عَدْلٌ". أي: كأن العدل قد تجسد في القاضي؛ وكأن كل تكوينه عدل. ولا تقول: "قاضي عادل".

والحق سبحانه-هنا-يقرر: أن القرآن هو الحكم العدل، ويصفه بأنه: {حُكْمًا عَرَبِيًّا} ولذلك يقول في آية أخرى: {وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ¹⁰⁸}. أي: أنه شرفٌ كبير لك ولقومك، أن نزل القرآن بلغة العرب. وادعى ناس: أن في القرآن ما ليس بلغة العرب، حتى ذكروا لغة الروم، والقبط، والتببط.

¹⁰⁰ تفسير الألوسي (19 / 59)

¹⁰¹ تفسير الألوسي (19 / 60)

¹⁰² [الشعراء: 192 - 196]

¹⁰³ تفسير البحر المحیط (8 / 424) الكشاف - (2 / 593)

¹⁰⁴ تفسير الألوسي (10 / 305)

¹⁰⁵ [الرعد: 37]

¹⁰⁶ فتح القدير (4 / 118):

¹⁰⁷ الكشاف (3 / 257) و (2 / 109)

¹⁰⁸ [الزخرف: 44]

القرآن الكريم أعجوبة في لغته وأساليبه

قال أبو عبيدة: ومن زعم ذلك فقد أكَثَرَ القول. قال: وقد يُوافق اللفظُ اللفظَ، ويقاربه، ومعناهما واحدٌ. وأحدهما بالعربية، والآخر بالفارسية أو غيرها. قال: فمن ذلك الإِسْتَبْرَقُ، وهو الغليظُ من الدِّبَاجِ. وهو (استبره) بالفارسية أو غيرها.

قال: وأهلُ مكة يسمُّون المسح-الذي يجعلُ فيه أصحابُ الطعام البرّ-البلاس. وهو بالفارسية بلاس. فأمالوها وأعربوها فقاربت الفارسية العربية في اللفظ. ... ثم قال: وذلك كلُّه من لغات العرب، وإن وافقه في لفظه ومعناه شيء، من غير لغاتهم.

وقال الإمام فخر الدين الرازي وأتباعه: "ما وقع في القرآن-من نحو المشكاة، والقسطاس، والإستبرق، والسجيل-لا نُسَلِّم أنها غيرُ عربية، بل غايته: أن وَضَعَ العرب فيها وافق لغةً أخرى-كالصابون والتنور- فإن اللغات فيها متفقة".

قال أبو عبيدة: "والصواب عندي: مذهبٌ فيه تصديقُ القولين جميعاً، وذلك أنّ هذه الحروف أصولها عجمية-كما قال الفقهاء- إلا أنها سقطت إلى العرب، فأعربتها بألسنتها، وحولتها عن ألفاظ العجم، إلى ألفاظها، فصارت عربيةً، ثم نزل القرآن، وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب، فمن قال: إنها عربية فهو صادق. ومن قال: عجمية فهو صادق¹⁰⁹".

وصفوة القول: أن ما ادعي أنه دخيل، قوالب بقوالب العربية، وامتزج بأسلوبها، وانصهر بأوزانها، حتى ما كاد الخاطر أن يتوقف عندها متسائلاً. ولما نزل القرآن بحروفها وأسلوبها، كانت العربية قائمة على سوقها، متكاملة في بنيانها، مسورة بميزان التعديل والتجريح لكل من يطرق أبوابها- نثراً، وشعراً. وما عُلم - تاريخياً- أن أساطين فصاحتها قد بدر منهم ما يومئ أو يشير أنهم ثقفوا

¹⁰⁹ المرهف في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي (209/1) (212/1)

عبد القادر منصور

غريباً بين كلم القرآن، وجمله، أو إلحاداً عن ذلك، بل ألفوه عالي الفصاحة، علواً
لن يبلغوه، بل سجدوا له وأكبروه. وثمة آيات تقر هذه القضية.

القراءة القرآنية لغات، وأساليب ...

حد اللغة:

والعجيب في القراءات، أنها حوت لغات العرب وأساليبها. وحد اللغة: إنها
أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم". وقال الأسنوي في شرح منهاج الأصول:
اللغات: "عبارة عن الألفاظ الموضوعية للمعاني".
واللغة أصلها: لُغِيٌّ وَلُغُوٌّ، والهاء عوض. وجمعها لُغِيٌّ، ولُغَاتٌ. والنسبة إليها
لُغَوِيٌّ. لا لُغَوِيٌّ. وقد لغا يلغو. والطير تلغى بأصواتها: أي تنغم.. ومصدره اللُغَا.
قال رؤبة:

(وربَّ أسرابٍ حجيجٍ كُظِّمٍ ... عن اللُغَا ورَفَثٍ التَّكَلُّمِ)

أقسم برب أسراب حجيج. والأسراب: الجماعات. الواحدة سرب. وهي
القطعة من الناس وغيرهم. والحجيج: جماعة الحاج. والكظم: جمع كاظم. وهو
الساكت. واللغو واللغا: اختلاط الكلام، وما كان غير معقود عليه.
الرَّفَثُ: كلمة جامعة لكل ما يريد الرجل من أهله. وروى عن ابن عباس:
أنه كان محرماً فأخذ بذنب ناقية من الركاب، وهو يقول:

وَهُنَّ يَمْشِينَ بِنَا هَمَيْسًا ... إِنْ تَصَدَّقَ الطَّيْرُ نَبِيَّكَ لَمَيْسًا¹¹⁰

ف قيل له: يا أبا العباس! أتقول الرَّفَثُ وأنت مُحَرَّمٌ؟

فقال: إنما الرَّفَثُ ما روجع به النساء.

¹¹⁰ والضمير في هن للابل. والهيميس صوتٌ ثقيلٌ أخفافها. وقيل: المثنى الخَفِي. ولميس: اسم جارية. والمعنى: نفعل بها ما نريد إن صدق الفأل. المغرب في ترتيب المعرب (337 / 1)

القرآن الكريم أعجوبة في لغته وأساليبه

فرأى ابن عباس " الرَّفَثَ " الذي نهى الله عنه ما خوطبت به المرأة. فأما أن يَرَفُثَ في كلامه ولا تسمع امرأة رَفَثَه، فَغَيْرُ دَاخِلٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (فَلَا رَفَثَ). يقال: رَفَثَ يَرَفُثُ، وَأَرْفَثُ يَرْفِثُ، إِذَا أَفْحَشَ فِي شَأْنِ النِّسَاءِ¹¹¹.

وكذلك اللَّغْوُ. قال الله سبحانه: {وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا¹¹²}.

أي: بالباطل. وجاء في الحديث: " من قال في يوم الجمعة والإمام يخطب: (صه) فقد لغا. ومن لغا فليس له في جمعيته تلك شيء¹¹³ ". لغا: أي: تكلم¹¹⁴. وَقَوْلُهُ: صَهْ، وَتُكْسَرُ مُنَوَّنَةً- وَهِيَ كَلِمَةٌ زَجْرٌ لِلْمُتَكَلِّمِ. أَي: اسْكُتْ .

القراءات القرآنية - لفظاً وأسلوباً:

أما القراءات القرآنية: فهي عربية (لفظاً وأسلوباً)، ولسان قريش، هو الطابع العام لها، واختير كلمات فصيحة من غير لسانها من قبائل أخرى، حتى استوعبت المخارج الصوتية جميعاً- قوة، وتكاملاً. وكأني بالآية القرآنية: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي¹¹⁵} لا تنص على التكامل في التشريع، والأخلاق، والآداب، فحسب. وإنما تشير إلى التكامل اللغوي، في عربية القرآن الكريم. لأن وسيلة الوصول لفهم القرآن، لن تكون إلا عبر الحرف العربي- صوتاً وفهماً. والقاعدة تقول: ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. فالمنهج، والوسيلة توأمان؛ وكلاهما متكامل؛ لعمومية التنزيل وأبديته.

ثم القراءات القرآنية، وَحَدَّتِ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ، وحفظت لنا أصول لغات العرب، ثم اختارت أجمل الحروف من كل لغة، وصيرت اللغات العربية لغةً

¹¹¹ تهذيب اللغة للأزهري (90 /5)

¹¹² [الفرقان: 72]

¹¹³ أحمد (719) وأبو داود (1051) والبيهقي (5625).

¹¹⁴ الخصائص لابن جني (33 /1) الصحاح في اللغة (2/ 144) المحكم والمحيط الأعظم (2/ 456) (86 /1) المخصص لابن سيده

(64 /4) المزهر في علوم اللغة وأنواعها (2 /1) شرح أدب الكاتب للجوالقي (ص: 140) (86 /1)

¹¹⁵ [المائدة/3]

عبد القادر منصور

واحدةً في التخاطب الرسمي، والأدبي، والاجتماعي-المحور فيما لغة(قريش) لأن القرآن. أصلاً. قد نزل بلغتهم وعلى أصفى، وأنقى رجل منهم، بل، وأفصحهم-على الإطلاق-محمد[ع].

ولأن لغة قريش أفصح اللغات العربيّة، وهي تشمل معظم هذه اللغات لاختلاط قريش بالقبائل، واصطفائها الجيد الفصيح من لغاتهم، فإنزال القرآن بلغة قريش. يعني: نزوله بألسنة العرب – جميعاً- من حيث الجملة. ولذلك ترجم البخاري لحديث عثمان بقوله: باب نزل القرآن بلغة قريش والعرب قرآناً عربياً بلسان عربي مبين... وذكر حديث عثمان. عن أنس بن مالك قال: فأمر عثمان زيد بن ثابت، وسعيد بن العاص، وعبد الله بن الزبير، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، أن ينسخوا ما في المصاحف، وقال لهم:

" إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في عربية القرآن، فاكتبوها بلسان قريش، فإن القرآن أنزل بلسانهم"..... ففعلوا¹¹⁶.

جلالة لغة التنزيل

هذا؛ والعجيب في لغته، جلالها وبداعة شمولها ووساعتها، وقد حفظ القرآن لنا اللغة العربية، سليمة، صافية، منتقاة الحروف العربية، أبدية المخرج والصفة، مخلفة وراءها سائر اللهجات العربية؛ فغدت إماما لدارسها، دونما منازع، حاضرة يد التغيير والتبديل أن تمتد إليه. بينما نجد كل لغات العالم، قد تشعبت إلى لهجات، ثم استقلت كل لهجة فصارت لغة؛ فمثلا(اللغة اللاتينية) التي خرجت منها أغلب لغات أوروبا المعاصرة من:(إنجليزية، وفرنسية، وإيطالية)، فنجد تلك اللغات تفرقت إلى لغات استقلالية، ويصير لكل

¹¹⁶ صحيح البخاري كتاب فضائل القرآن 625/8 مع الفتح . صحيح البخاري - (4 / 1906)

القرآن الكريم أعجوبة في لغته وأساليبه

منها قواعد مختلفة؛ بل إن اللغة الإنجليزية على سبيل المثال صارت "إنجليزية إنجليزية" يتكلم بها أهل بريطانيا؛ و" إنجليزية أمريكية " يتكلم بها أهل الولايات المتحدة . ولو تركنا نحن . لغة التخاطب بيننا-كمسلمين وعرب- إلى لغة التخاطب الدارجة في مختلف بلادنا؛ فلن يفهم بعضنا البعض، ويرجع تفاهمنا مع بعضنا البعض . حين نتكلم . إلى اللغة الفصحى . وهي لغة القرآن، والأفصح -عربياً- على الإطلاق.

فالقرآن الكريم لم يخرج من مألوف العرب في لغتهم العربية، من حيث المفردات والجمل، فمن حروفهم تألفت كلماته، ومن كلماته ركبت جملة، ومن قواعدهم صيغت مفرداته، وتكونت جملة، وجاء تأليفه، وأحكم نظمه . فكان عربياً جازياً على أساليب العرب وبلاغتهم ولكنه أعجزهم بأسلوبه وبيانه ونظمه الفذ، إلى جانب نفوذه الروحي، وأخباره بالغيوب، ومعانيه الصادقة، وأحكامه الدقيقة العادلة، والصالحة للتطبيق في كل زمان ومكان، وهو الكتاب الوحيد الذي تحدى منزله . جل جلاله . البشر كافة أن يأتوا بمثله.

كما يجب علينا أن نلاحظ أن القرآن الكريم، لم يعبر بكلمة (لغة) وإنما عبر بـ(اللسان) بمعنى اللغة. فقبل نزول القرآن الكريم، كان العرب يتكلمون باللغة العربية بالسليقة، والسجية، فصيحة معربة، سليمة من اللحن والاختلال؛ ولم تكن لها قواعد مدونة، والنحو المدون لم يظهر حتى ظهر نور الإسلام، ونزل به القرآن، فخرج جيل الفتح الأول داعين إلى توحيد الله، مبشرين بدينه، حاملين كتابه بلسان عربي مبين، فانتشرت العربية بانتشار الإسلام، وكتب العلماء المسلمون من غير العرب، أكثر من علماء العرب؛ وبذلك، أصبحت العربية عالمية مقدسة، ومنتشرة في كثير من أقطار الأرض.

العربية أفضل اللغات وأوسعها

والسر في اختيار العربية للقرآن، أنها أفضل اللغات ، وأوسعها على الإطلاق، ولأنه الكتاب الأبدي – قراءة وأحكاما-كان لابد أن يكون بلغة واسعة لمفردات اللسان وأساليبه.

قال جل ثناؤه: {وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (192) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (194) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ¹¹⁷}. فوصفه جل ثناؤه بأبلغ ما يوصف به الكلام، وهو البيان. وقال جل ثناؤه: {خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ¹¹⁸}: فقدّم جل ثناؤه ذكر البيان على جميع ما توحد بخلقه وتفرّد بإنشائه ، من شمس وقمر ونجم وشجر، وغير ذلك من الخلائق المحكمة، والنشأيا المتقنة .

فلما خصّ جل ثناؤه اللسان العربيّ بالبيان، علم أن سائر اللغات قاصرة عنه وواقعة دونه. فإن قال قائل: فقد يقع البيان بغير اللسان العربي، لأن كلّ من أفهم بكلامه على شرط لغته فقد بيّن. قيل له: إن كنت تريد أن المتكلم بغير اللغة العربية، قد يُعرب عن نفسه، حتّى يفهم السامع مراده، فهذا أخس مراتب البيان، لأن الأبكّم قد يدلّ بإشارات وحركات له على أكثر مراده، ثمّ لا يسمّى متكلماً، فضلا عن أن يُسمّى بيّناً أو بليغاً.

وإن أردت أنّ سائر اللغات تبين إبانة اللغة العربية: فهذا غلط، لأننا لو احتجنا أن تعبر عن السيف، وأوصافه، باللغة الفارسية، لما أمكننا ذلك إلا باسم واحد، ونحن نذكر للسيف بالعربية صفات كثيرة، وكذلك الأسد والفرس وغيرهما من الأشياء المسماة بالأسماء المترادفة.

¹¹⁷ [الشعراء: 192 - 196]

¹¹⁸ [الرحمن: 3، 4]

القرآن الكريم أعجوبة في لغته وأساليبه

فأين هَذَا من ذاك؟ وأين لسائر اللغات من السَّعة ما للغة العرب؟ هَذَا مَا لا خفاء بِهِ عَلَى ذِي هُيَّةٍ. وَقَدْ قَالَ بَعْضُ عِلْمَائِنَا-حِينَ ذَكَرَ مَا لِلْعَرَبِ مِنَ الْاِسْتِعَارَةِ وَالتَّمثِيلِ وَالقَلْبِ وَالتَّقْدِيرِ وَالتَّأخِيرِ وَغَيْرِهَا مِنْ سِنَنِ الْعَرَبِ فِي الْقُرْآنِ-فَقَالَ: وَلِذَلِكَ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ مِنَ التَّرَاجِمِ عَلَى أَنْ يَنْقُلَهُ إِلَى شَيْءٍ مِنَ الْأَلْسِنَةِ، كَمَا نُقِلَ الْإِنْجِيلُ عَنِ السَّرْيَانِيَّةِ إِلَى الْحَبَشِيَّةِ وَالرُّومِيَّةِ، وَتُرْجَمَتِ التَّوْرَةُ وَالزَّبُورُ وَسَائِرُ كُتُبِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ بِالْعَرَبِيَّةِ، لِأَنَّ الْعَجْمَ لَمْ تَنْسَعِ فِي الْمَجَازِ اتِّسَاعَ الْعَرَبِ.

أَلَا تَرَى أَنَّكَ لَوْ أَرَدْتَ أَنْ تَنْقُلَ قَوْلَهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: {وَأَمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ} ¹¹⁹. لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَأْتِيَ بِهَذِهِ الْأَلْفَاظِ الْمُؤَدِّيَةِ عَنِ الْمَعْنَى الَّذِي أُوْدِعَتْهُ، حَتَّى تَبْسُطَ مَجْمُوعَهَا، وَتَصِلَ مَقْطُوعَهَا، وَتُظْهِرَ مَسْتَوْرَهَا، فَتَقُولَ: "إِنْ كَانَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ قَوْمٍ هَدَنَةٌ وَعَهْدٌ فَخَفْتَ مِنْهُمْ خِيَانَةً وَنَقَضْتَ فَأَعْلَمَهُمْ أَنَّكَ قَدْ نَقَضْتَ مَا شَرَطْتَهُ لَهُمْ وَأَذِنَهُمْ بِالْحَرْبِ لِتَكُونَ أَنْتَ وَهُمْ فِي الْعِلْمِ بِالنَّقْضِ عَلَى اسْتَوَاءٍ".

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: {فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا} ¹²⁰. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: "فَهَلْ يَوْجَدُ فِي سِنَنِ الْعَرَبِ وَنُظُومِهَا مَا يَجْرِي هَذَا الْمَجْرَى؟" قِيلَ لَهُ: إِنْ كَلَامُ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَعْلَى وَأَرْفَعُ مِنْ أَنْ يُضَاهَى أَوْ يُقَابَلَ أَوْ يِعَارِضَ بِهِ كَلَامٌ، وَكَيْفَ لَا يَكُونُ كَذَلِكَ؟. وَهُوَ كَلَامُ الْعَلِيِّ الْأَعْلَى خَالِقِ كُلِّ لُغَةٍ وَلسَانٍ، لَكِنَّ الشُّعْرَاءَ قَدْ يَوْمئُونَ إِيمَاءً، وَيَأْتُونَ بِالْكَلَامِ الَّذِي لَوْ أَرَادَ مُرِيدٌ نَقْلَهُ، لَأَعْتَصَمَ ¹²¹، وَمَا أَمَكْنَ، إِلَّا بِمَبْسُوطٍ مِنَ الْقَوْلِ، وَكَثِيرٍ مِنَ اللَّفْظِ.

¹¹⁹ [الأفعال: 58].

¹²⁰ [الكهف: 11].

¹²¹ قد اعتصم عليه الأمر. أي: التوى. فهو معتصم.

عبد القادر منصور

ولو أراد أن يعبر عن قول امرئ القيس: (فدع عنك تهباً صيح في حَجَرَاتِهِ¹²²) بالعربية، فضلاً عن غيرها لطلال عليّ.

وكذا قول القائل: "والظنُّ على الكاذب¹²³". و"نِجَارُهَا نَارُهَا¹²⁴".

و"أَنْشَائِي يُرَمِّ لِكِ". و"قَلْبٌ لَوْرَفَعِ".

و"عَلَى يَدِ فَاخْضَمَ". و"شَأْنُكَ إِلاَّ تَرْكُهُ مُتَّفَاقَمَ".

و"هُوَ بَاقِعَةٌ¹²⁵". و"عَيَّ بِالإِسْنَافِ¹²⁶".

وهو كثير بمثله، طالت لغة العرب اللغات. ولو أراد معبراً بالأعجمية، أن يعبر عن: (الغنيمة، والإخفاق، واليقين، والشك، والظاهر، والباطن، والحق، والباطل، والمبين، والمشكل، والاعتزاز، والاستسلام) لعيّ به. والله جل ثناؤه أعلم حيث يجعل الفضل.

¹²² وتكلمته (...ولكن حديثاً ما حديث الرواجل). أي؛ صاح المنتهب في حجراته، وكذلك المراد سقط الندم في يده. تهذيب اللغة للأزهري (3/ 163). أو: دَعِ التَّهَبُ الَّذِي تُهَبُّ مِنْ نَوَاحِيكَ، وَحَدِيثِي حَدِيثِ الرَّوَاحِلِ - وَهِيَ الإِبِلُ الَّتِي ذَهَبَتْ بِهَا مَا فَعَلْتَ؟ وَحَجْرٌ: ثَلَاثُ قَبَائِلَ: الأُولَى: حَجْرٌ ذِي رُعَيْنٍ وَفِي بَعْضِ نُسَخِ الأَنْسَابِ: حَجْرٌ رُعَيْنٌ بَحْدَفِ ذِي أُوَيْهِ القَبِيلَةِ... والثانية: حَجْرٌ جَمْرٌ مِنْهَا: مُخْتَارٌ الحَجْرِيُّ... الثالثة وهو حَجْرٌ بِنِ عَمْرَانَ بْنِ عَمْرٍو مُرْتَقِيًا.

¹²³ وهذه اللفظة، من قول ابن زبابة التميمي في شعره: (أنا ابن زبابة إن تدعي ... أتيك و الظن على الكاذب) - زبابة بوزن فعالة مشددة، ابن زبابة بوزن فعالة تخفيفاً - و الزبابة الفأرة - و في المثل: أسرق من زبابة، يعنون به الفأرة. أدب الخواص للوزير المغربي (ص: 17)

¹²⁴ أي: سَمَّيْتُهَا تَدَلَّ عَلَى نِجَارِهَا يَعْنِي الإِبِلَ. أي: ميسمها يدل على كرمها وعتقها. يضرب في ظاهر الشيء الدال على باطنه. كما تدل سمة الإبل على أصلها. والنَّجْرُ: عَمَلُ النَّجَّارِ وَتَحْتَهُ. والأصل: والمنْتَبِتُ، وكذلك النَّجَّارُ، ويقولون: نِجَارُهَا نَارُهَا " أي: سَمَّيْتُهَا. والنَّجَّارَةُ، فَلانُّ لَنَيْمِ النَّجَّارَةِ. والنَّارُ: البِسْمَةُ، ومن أمثالهم: "نِجَارُهَا نَارُهَا" أي: مِيسْمُهَا يُدَلُّ عَلَى جَوْهَرِهَا، وَجَمْعُهَا نِجَارٌ. المحيط في اللغة (2/ 110) (435)

¹²⁵ الباقعة: الداهية. رجل باقعة، إذا كان ذا دهاء. وروي أن علياً قال لأبي بكر (ر): لقد عثرت من الأعراب على باقعة. وفي حديث آخر: ففانحنته فإذا هو باقعة. أي: ذكي عارف لا يفوته شيء. وجارية بقعة. والبقعة من الأرض: المعزاء ذات الحصى الصغار. وهاربة البقعة: بطن من العرب. والباقعة: الطائر الحذر المحتال الذي ينظر يمنة ويسرة، إذا شرب لا يرد مشارب المياه المحضورة، خوف أن يحتال عليه، ويصاد؛ وإنما يشرب من البقعة، بالفتح. وهي: المكان يستنقع فيه الماء ثم شبه به كل حذر محتال حاذق. لسان العرب (8/ 17) حياة الحيوان الكبرى للدميري (1/ 107)

¹²⁶ قالوا: أَسْتَفُوا أَمْرَهُمْ، أي: أحكموه، وهو استعارة من هذا. و في المثل لمن تحير في أمره: (عَيَّ بِالإِسْنَافِ). سفت الشيء أسوفه: إذا شمته. الصحاح في اللغة (1/ 334) العباب الزاخر للصاغاني (1/ 439)..

القرآن الكريم أعجوبة في لغته وأساليبه

* ومما اختُصت به لغة العرب-بعد اللّذي تقدم ذكرنا له- قليهم الحروف عن جهاتها، ليكون الثاني أخفّ من الأول، نحو قولهم: "ميعاد". ولم يقولوا "مُوَعاد" وهما من الوعد، إلا أن اللفظ الثاني أخفّ.

* ومن ذلك تركهم الجمع بين الساكنين، وقد تجتمع في لغة العجم ثلاث سواكن. * ومنه قولهم: "يا حارٍ". ميلاً إلى التخفيف.

* ومن اختلاسهم الحركات في مثل: (فاليومَ أشربَ غيرَ مُستَحَقِّبٍ¹²⁷). * ومنه الإدغامُ، وتخفيفُ الكلمة بالحذف، نحو: "لَمْ يَكُ". و"لَمْ أَبْلِ"¹²⁸.

* ومن ذلك إضمارهم الأفعال، نحو: "امراً أتقى الله"¹²⁹. و: "أمرٌ مبكياتك، لا أمرٌ مضحكاتك"¹³⁰.

¹²⁷ وأما الإدغام فنحو قولك: (جَعَلَ لَكَ) فمن العرب من يستثقل اجتماع كثرة المتحركات فيدغم. وهذا يبين في الإدغام. وأما إسكان الاستئصال: فنحو ما حكوا في شعر امرئ القيس في قوله:

(فاليومَ أشربُ غيرَ مُستَحَقِّبٍ ... إنمأ من الله ولا واغل).

كان الأصل: أشربُ. فأسكن الباء كما تسكنها في (عَضِدٍ). فتقول: (عَضِدٌ) للاستئصال. الأصول في النحو للبغدادي (2/364) مستحقب: مكتسب. والواغل: الداخل على القوم يشربون، ولم يُدع.

¹²⁸ وأما: لَمْ أَبْلِ: فحقه أن تقول: (لم أبال) كما تقول: (لم أرام يا هذا) فحذفت الألف- تخفيفاً، لكثرة الاستعمال. كما حذفوا الياء من قولهم: لا أدر. وكذلك يفعلون في المصدر فيقولون: ما أباليه بالة. والأصل بالية، مثل عافاه عافية، حذفوا الياء منها بناء على قولهم: (لم أبلي). وناس من العرب يقولون: (لم أبله) لا يزيدون على حذف الألف. قال سيبويه: سألت الخليل عن (لَمْ أَبْلِ)؟ فقال: هي من (باليث). ولكثرت لما أسكنوا اللام حذفوا الألف لأنّه لا يلتقي ساكنان. وزعم الخليل: أن ناساً يقولون: (لم أبليه) لا يزيدون على حذف الألف. ولم يحذفوا لا (أبالي) كما أنّهم إذا قالوا لم يكن الرجلُ فكأنّ في موضع تحريك لم تحذف. و(أبالي): إنّما يحذف في موضع الجزم فقط. وقولهم: ما أباليه أي: ما أكثرت له. الأصول في النحو للبغدادي (277/3) الأصول في النحو للبغدادي (3/343). وفي صحاح العربية للجوهري (8/169)

¹²⁹ امرأ أتقى الله. المزهر (1/256) وقول الحجاج: امرأ أتقى الله أمرؤ. وحاسب نفسه. المخصص (11/150)

¹³⁰ ويحذف الفعل وجوباً فيما ورد سماعاً كالأمثال، وما سار مسيرها، كقولهم: (كلّ شيء ولا شتيمه حر). الأصل: (انت كل شيء، ولا تأت شتيمه حر). ومثل: (الكلاب على البقر) والأصل: (أرسل الكلاب على البقر)، ومثل: (أمر مبكياتك لا أمر مضحكاتك) والأصل (الزّم أمر مبكياتك) ومن ذلك قولنا (أهلاً وسهلاً). فالمعنى (أتيت أهلاً، ونزلت سهلاً). الموجز في قواعد اللغة العربية (ص: 159)

* وممّا لا يمكن نقله البتّة: أوصاف: (السيف¹³¹، والأسد¹³²، والرمح¹³³).
 وغير ذلك من الأسماء المترادفة. ومعلوم: أن العَجَم لا تعرف للأسد غير
 اسم واحد. فأما نحن فنُخرج له خمسين ومائة اسم¹³⁴. وقال عبد الله بن
 (خالوّه) الهمداني¹³⁵: "جمعت للأسد خمسمائة اسم، وللحيّة مائتين"

¹³¹ ومن أسماء السيف: (الصَّارِم والرِّدَاء والخليل والقَضِيب والصَّفيحة والمَقْفَر والصَّضْصَامَة والمُتَوَّر والمِقْضَب والكَهَام والأبيث والمغضد والجُرَّاز واللُّدْن والفُطَار وذُو الكَرِيهَة والمُشْرِفِي... المزهري في علوم اللغة (1/285)

¹³² فمن أسمائه: الأسد، والأثني: أسدَة وليوَة . والشَّيْب والحفص: جُزوه؛ والشَّيْبَة والحَفْصَة: الأثني؛ وكناه: أبو الأشبال، وأبو الحارث؛ ومن أسمائه الأعلام: بهيس، وأسامة، وهرثمة، وكهمس. نهاية الأرب (3/18)

¹³³ فمن ذلك: "أسمر" وهو الدقيق. "ألة" وهو أصغر من الحربة. وفي سنانها عرض. وجمعها الإلال. أم اللواء. "أزنى" منسوب إلى ذي يزن. "أقصاد": وهو المكسر. "ثلب": وهو المثلث. "حادر": أي غليظ. "حربة": خرصانة. "خرص": "خطر" أي ذو اهتزاز. "خال" أي لواء الجيش. "خطى" هو ما ينسب من الرماح إلى الخط، وهو موضع باليمامة..... "متثنى" كان من رماح سيدنا رسول الله (ج). نهاية الأرب (3/18)

¹³⁴ وقال في معجم أسماء الأشياء "للطائف في اللغة (3) "ووجدنا السيوطي- ينظم لمنظومة، أحصى فيها أسماء الكلب- قدم لها قائلاً: "دخل يوماً أبو العلاء المعري على الشريف المرتضى، فعثر برجل، فقال الرجل: "من هذا الكلب؟". فقال أبو العلاء: "الكلب من لا يعرف للكلب سبعين اسماً". وقد عجز السيوطي أن يحصي للكلب سبعين اسماً.

قال السيوطي: وقد تتبع كتب اللغة، فحصلتها (أكثر من ستين اسماً) ونظمها في أرجوزة، وسميتها: (التبري من معرفة المعري). التبري من معرفة المعري للسيوطي (ص: 1). وعد السيوطي بعمله هذا: (ألا يكون كلباً) -عند أبي العلاء، ولا يناله شيء من تعبيره. وقد بلغ السيوطي في عد أسماء الكلب سبعين فصاعداً إذ اعتبر في العد لغات القصر والمد وتغير البنية. وفي تلك الأسماء ما كان صفة، فغلبت عليه الإسمية: مثل (الوازع وكسيب). لأنه يزغ الذئب عن الأغنام، ويكسب لأهله. والمنذر: لأنه ينذر باللصوص. ومنها ما هو ألقاب جعلت على الكلب لأن معانيها فيه. كداعي الكرم: لأنه يدل العابرين على أهل بنياحه، فيتضيفونهم.

¹³⁵ ابن خالويه (370 هـ = 980 م) الحسين بن أحمد بن خالويه، الحلبي الدار، الإمام المشهور، أبو عبد الله: لغوي، من كبار النحاة. أصله من همدان. زار اليمن ودخل اليمن ونزل ذمار وأقام بها مدة، وشرح ديوان ابن الحائك اليميني. وانتقل إلى الشام فاستوطن حلب. وعظمت بها شهرته، فأحله بنو حمدان منزلة رفيعة. وكانت له مع المتنبي مجالس ومباحث عند سيف الدولة. وعهد إليه سيف الدولة بتأديب أولاده. وتوفي في حلب. من كتبه (شرح مقصورة ابن دريد) و (مختصر في شواذ القرآن) و (الاشتقاق) و (الجمال) في النحو.

* أخذ القراءات عرضاً: عن أبي بكر بن مجاهد، وابن النباري. والنحو واللغة عن ابن دريد ونفطويه. أخذ القراءة عنه عرضاً أبو علي الحسين بن علي الرهاوي، استوطن حلب، وصار بها أحد أفراد الدهر في كل قسم من أقسام الأدب، وكانت إليه الرحلة من الأفاق، وآل حمدان يكرمونه ويدرسون عليه، ويقتبسون منه.

وهو القائل: دخلت يوماً على سيف الدولة بن حمدان فلما مثلت بين يديه قال لي: (اقعد، ولم يقل اجلس). فتبينت بذلك اعتلاقة بأهداب الأدب. واطلاعه على أسرار كلام العرب. وإنما قال ابن خالويه هذا، لأن المختار عند أهل الأدب أن يقال للقائم:

القـــرآن الكـــريم أعجوبة في لغته وأساليبه

* وعن الأصمعي ، أن الرشيد سأله عن شعر لابن حزام العُكْلِيِّ؟ ففسّره،

فقال:

" يَا أَصْمَعِي! إِنَّ الْغَرِيبَ - عِنْدَكَ - لَغَيْرُ غَرِيبٍ".

فقال: " يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَلَا أَكُونُ كَذَلِكَ؛ وَقَدْ حَفِظْتُ لِلْحَجَرِ¹³⁶ سَبْعِينَ اسْمًا؟ " . -وهذا كما قاله الأصمعي. ولكافي الكفاة -أدام الله أيامه وأبقى للمسلمين فضله - فِي ذَلِكَ، كتاب مجرد. فأين لسائر الأمم ما للعرب!!

اقعد، وللنائم أو الساجد: اجلس، وعلله بعضهم بأن القعود هو الانتقال من العلو إلى السفلى، ولهذا قيل لمن أصيب برجله مقعد، والجلوس هو الانتقال من السفلى إلى العلو، ولهذا قيل لنجد: جلسا لارتفاعها، وقيل لمن أتاها: جالس، وقد جلس. ومنه قول مروان بن الحكم لما كان والياً بالمدينة يخاطب الفرزدق: قل للفرزدق والسفاهة كاسمها... إن كنت تارك ما أمرتك فاجلس. أي: اقصد الجلوس. وهي نجد. وهذا البيت من جملة أبيات. ولها قصة طويلة. مات بحلب سنة سبعين وثلاثمئة. الأعلام للزركلي (2 / 231). بغية الطلب في تاريخ حلب - (1 / 191) وفيات الأعيان - (2 / 178) غاية النهاية في طبقات القراء - (1 / 104) البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة - (ج 1 / ص 18) وفيات الأعيان 1: 157 وبغية الوعاة 231 والمكتبة الأزهرية 1: 112 وغاية النهاية 1: 237 وأدب اللغة 2: 301 ولسان الميزان 2: 267 ودائرة المعارف الإسلامية 1: 148 وإبناه الرواة 1: 324 وهو فيه (الحسين بن محمد).

¹³⁶ منها: القهب. الوقل. الصبارة. الأرم. والظرر والظررة: الحجر أو المدور المحدد منه. الأثلب والإثلب: الحجارة أو فتاتها. والأوكح. الصلداح: الحجر العريض. والصفاح: حجارة عراض رقاق اليرمع: حجارة رخوة إذا افتتت انفتتت المهو: حجر أبيض يسمى بصاق القمر.....معجم أسماء الأشياء { اللطائف في اللغة } (ص: 77)

عبد القادر منصور

ومن ذا يمكنه أن يُعبّر عن قولهم: (ذات الزُّمَيْنِ)¹³⁷. وكثرة ذات اليد. ويد
الدهر. وتجاوزت النجوم¹³⁸. ومجّت الشمس ريقها¹³⁹.
ودراً الفيء¹⁴⁰. ومفاصل القول .
وأتى بالأمر من فصّه¹⁴¹ .

¹³⁷ لَقِيْتُهُ ذَاتَ الزُّمَيْنِ: هو تصغير الزمن. أي: لقيته مدة صاحبة. أو لقيته ذات الزُّمَيْنِ قبل ذلك. وأزمن الشيء: مضى عليه الزمان فهو زمين. وأزمن الله فلاناً فهو زمن وزمين وهم زمنة وزمني وقد زمن زمناً وزماناً. وتقول: معي نكايات الزمن وشكايات. ومن المجاز: أزمن عني عطاؤك: أبطأ عليّ. قال الأصمعي: فإنّ لقيته بين الأعوام قلت: لقيته ذات العويم. وإنّ لقيته في الزمان قلت: لقيته ذات الزمن. أو في الزمان. قال أبو زيد: فإنّ لقيته بعد شهر أو نحوه قلت: لقيته عن عفر. قال: فإنّ لقيته بعد الجول أو نحوه قلت: لقيته عن هجر. قال ابن السكيت: يقال: لقيته أول ذات يدين. أي لقيته أول شيء. المستقصى في أمثال العرب (286/2) المزهري في علوم اللغة وأنواعها (410/1) أساس البلاغة للزمخشري (397/1) لسان العرب (240/2)

¹³⁸ ومن المجاز: تجاوزت النجوم: إذا صبغت للغروب. قال ذو الرمة: تجاوزت في الغور النجوم الطوامس. وخرجوا في الظهيرة الخوصاء. وضربتهم الريح الخوصاء. وهي الشديدة الحر، لا تنظر فيها إلا متجاوزاً. قالوا: إذا طلعت الجوزاء، خرجت الريح الخوصاء. وهضبة خوصاء: مرتفعة. ويثر خوصاء: بعيدة القعر لأن الناظر يتجاوز لها. أساس البلاغة (125/1). لسان العرب (240/2)

¹³⁹ مَجَّ الرجل الشراب من فيه: إذا رمى به. والمُجَاخَةُ والمُجَاغُ: الريق الذي تَمُجُّهُ من فيك. يقال: المَطْرُ مُجَاغُ المُنْزِنِ، والعَسَلُ مُجَاغُ النَّخْلِ. الصحاح في اللغة (159/2) "من ضحك ضحكة، مج من العقل مجة". الإعجاز والإيجاز للثعالبي (ص: 3). وهذا كلام تمجّه الأسماع. وقولٌ ممجوج. ومجّت الشمس ريقها. قال النابغة:

(يثرن الحصى حتى يباشرن برده إذا الشمس مجّت ريقها بالكلاكل).

والنبات يمّج الندى. بكُلِّ مَقِيلٍ مَجَّتِ الشَّمْسُ رِيْقَهَا عَلَيْهِ وَكَشَّخَ الظَّلَّ فِيهِ هَضِيمٌ. قال الليث: الكلاكل: هي الجماعات كالكرaker. تهذيب اللغة للأزهري (306/3) أساس البلاغة للزمخشري (357/2) دواوين الشعر العربي على مر العصور (31/374)

¹⁴⁰ يُقَالُ: فَاءٌ يَفِيءُ فَيْئاً، وَالْفَيْئَةُ: الرَّجْوُ، وَالْفَيْئَةُ: الْمَرَّةُ الْوَاحِدَةُ وَالْفِيءُ: بَعْدَ الزَّوَالِ. وَالْجَمِيعُ أَفْيَاءٌ وَفِيءٌ. وَالْفِيءُ: مَا يَنْسَخُ الشَّمْسُ. وَهُوَ مِنَ الزَّوَالِ إِلَى الْغُرُبِ. الدُّرَّةُ: الدَّفْعُ. وَفِي الْحَدِيثِ: "ادْرءوا الحُدودَ مَا اسْتَطَعْتُمْ". المحيط في اللغة (481/2) الصحاح في اللغة (200/1) العباب الزاخر (15/1) المخصص لابن سيده (467/3) إصلاح المنطق للسكيت (ص: 91) التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (490)

¹⁴¹ يَأْتِيكَ بِالْأَمْرِ مِنْ فَصِّهِ: معناه يَأْتِيكَ بِالْأَمْرِ مِنْ مَفْصَلِهِ. أَخَذَ مِنْ فَصُوصِ الْعِظَامِ. وَهِيَ: مَفَاصِلُهَا. وَاحِدُهَا فَصٌّ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ:

(قَرِبَ أَمْرِي وَتَذَرِيهِ الْعِيُونُ يَأْتِيكَ بِالْأَمْرِ مِنْ فَصِّهِ)

فَصُّ الْأَمْرِ: أَهْلُهُ. وَفَصُّ الْعَيْنِ: حَدَقْتُهَا. وَأَنْشُدُ: (بِمُقْلَةٍ تَوْقِدُ فَصّاً أَرْزَقَا). وَالْفِصْفِصَةُ: الْفِسْفِيسَةُ. وَهُوَ الْقَتُّ الرَّطْبُ. وَالْفِصْفُ: فَصُّ الْخَاتَمِ. وَالْفِصْفُ: الْبَسَنُ مِنْ أَسْنَانِ الثُّومِ. العين للخليل (31/2) الزاهر (196/1)

القرآن الكريم أعجوبة في لغته وأساليبه

وهو رَحْبُ الْعَطْنِ¹⁴². وغمُرُ الرِّدَاءِ¹⁴³.

ويخلق¹⁴⁴. ويفري¹⁴⁵.

وهو ضيق المَجَمِّ¹⁴⁶.

¹⁴² ورجل رحب العطن: أي: رحب الذراع، كثير المال، واسع الرجل. رفيع العماد طويل النجا... د ضخم الدسيعة رحب العطن (المحكم والمحيط الأعظم (1/195) الحماسة المغربية (ص: 9) وفي اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (ص: 750). عن ابن عمَرَ (ر) أنَّ النَّبِيَّ (ج) قَالَ: أُرِيْتُ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَنْزَعُ بِدَلْوٍ بَكْرَةَ عَلَى قَلْبِي، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ، فَتَزَعُ دَنُوبًا، أَوْ ذُنُوبَيْنِ، تَزَعًا ضَعِيفًا، وَاللَّهُ يُغْفِرُهُ، ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَاسْتَحَالَتْ غَرْبًا، فَلَمْ أَرَعْ بَقْرًا يُفْرِي فَرِيَّهُ، حَتَّى رَوَى النَّاسُ، وَصَرَّبُوا بِعَطْنٍ - وفي رواية: "حتى تولَّى، والحوض يتفجَّر". أخرجه أحمد 368/2.

أنزع: استسقى. أرفع الماء من بئر. دلو بكرة: دلو على بكرة. قلب: بئر. الذنوب: وعاء من جلد لتقل الماء. الغرب: وعاء كبير لرفع الماء ونقله. أي: صارت وتحولت عن حالها الأول من الصغر. قال الأصمعي: سألت أبا عمرو بن العلاء عن العبقري؟ فقال: يقال: هذا عبقري قومه. كقولهم: سيد قومه وكبيرهم وقومهم. وأصله: إنه نسب إلى عبقر، أرض يسكنها الجن، فصارت مثلا لكل منسوب إلى شيء رفع. ويقال: بل هي أرض يعمل فيها الوشي والبرود.

وينسب إليها الوشي العبقري، قال الله تعالى: {مُتَكَبِّرِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضِرَ وَعَبَقْرِي حِسَانٍ}. قال ابن دريد: فإذا عجبوا من شدة شيء ومصابه، واستحسنوه نسبهوه إلى عبقر. يفري فريته أو فزيه: يعمل بجِد ونشاط وسرعة مثله.

(حتى ضرب الناس بعطن): رويت إبلهم حتى بركت، وأقامت في أماكنها. فالعطن: ما يعد للشرب حول البئر من مبارك الإبل. أي ضرب العطن والرطوبة الأرض، لكثرة ما نزع من القلب من ماء. حاشية السندي (4/102) المفهم (20/11) إكمال المعلم (200/7)

¹⁴³ غمر الرداء: إذا كان واسع المعروف سخياً. قال كثير يمدح عبد العزيز بن مروان:

غَمُرُ الرِّدَاءِ إِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكًا ... غَلِقَتْ لِحْضَكَيْهِ رِقَابُ الْمَالِ

استعار الرداء للمعروف، لأنه يصون ويستر عرض صاحبه، كستر الرداء ما يلقى عليه، وأضاف إليه الغمر، وهو القرينة على عدم إرادة معنى الثوب، لأن الغمر من صفات المال، لا من صفات الثوب. وهذه الاستعارة: لا تظفر باقتطاف ثمارها إلا دؤو الفطر السليمة والخبرة التامة. الخلاصة في علوم البلاغة (50) إصلاح المنطق للسكيت (24)

¹⁴⁴ وخلق الثوب يخلق خلقه، أي: يلبس، وأخلق إخلاقاً. ويقال للسائل: أخلقته وجهك. العين للفراهيدي (2/114) الخلق: التقدير. يقال: خلقت الأديم، إذا قدرته قبل القطع. ومنه قول زهير:

(ولأنت تفري ما خلقت ونع... ض القوم يخلق ثم لا يفري).

وقال الحجاج: ما خلقت إلا فريت، ولا وعدت إلا وفيت.

والخلقة: الطبيعة، والخلقة: الخلق. والجمع الخلائق. والخلقة بالكسر: الفطرة. ورجل خليق ومختلق، أي تام الخلق معتدل... الصحاح في اللغة (1/184)

¹⁴⁵ فريت الشيء أفريه: قطعته لأصلحه. والمزادة: خلقها وصنعها. والأرض: سرتها وقطعتها. و فلان كذبا: إذا خلقه. والاسم الفرية. ويفري الفري: إذا كان يأتي بالعجب في عمله. وأفريت الأوداج: قطعها. الصحاح في اللغة (2/43)

¹⁴⁶ المَجَمِّ: مُسْتَقَرُّ الْمَاءِ. وَ: الصَّدْرُ. لِأَنَّهُ مُجْتَمِعٌ لِمَا وَعَاهُ مِنْ عِلْمٍ وَغَيْرِهِ. قَالَ تَمِيمٌ بْنُ مُقْبِلٍ:

عبد القادر منصور

قلِقِ الوَضِيْنَ¹⁴⁷. رابط الجأش¹⁴⁸.

وهو أَلْوَى بَعِيدِ المُسْتَمَرِّ¹⁴⁹.

و" شَرَابٌ بِأَنْقَعِ¹⁵⁰."

وهو جَدَيْلُهَا المَحْكَكُ¹⁵¹. وَعُدَيْفُهَا المُرْجَبُ¹⁵².

وَمَا اشبه هَذَا من بارع كلامهم، ومن الإيماء اللطيف، والإشارة الدالة.
وَمَا فِي كِتَابِ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مِنَ الخُطَابِ العَالِي، أَكْثَرُ وَأَكْثَر. قَالَ اللَّهُ جَلَّ
وَعَزَّ: {وَلَكُمْ فِي القِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة: 179]

(رَحِبُ المَجْمِ إِذَا مَا الأَمْرُ بَيَّنَّهُ... كَالسَّيْفِ لَيْسَ بِهِ فَلَ وَلَا طَبِيعٌ) وفلانٌ واسع المَجْمِ: إِذَا كَانَ وَاسِعَ الصَّدْرِ رَحِبَ الدَّرَاعِ. وَيُقَالُ:
إِنَّهُ لَصَبِيحُ المَجْمِ: إِذَا كَانَ صَبِيحَ الصَّدْرِ بالأَمْرِ. وَفِي التَّكْمِلَةِ لِلصَّاعِقَانِي: أَنشَدَ ابْنُ الأَعْرَابِيِّ:
(رَبُّ ابْنِ عَمِّ لَيْسَ بِابْنِ عَمِّ * * * بَادِي الصَّعِينِ صَبِيحُ المَجْمِ) المَجْمَةُ: مَا يَجْلِبُ الرَّاخَةَ. وَفِي حَدِيثِ التَّبَيُّنِيَّةِ: "فَإِنَّهَا مَجْمَةٌ".
أَي: مَطْلَةٌ الأَسْتِرَاحَةِ. [التَّبَيُّنِيَّةُ: جِسَاءٌ يُتَّخَذُ مِنْ نُخَالَةٍ وَلَبْنٍ وَعَسَلٍ]. بَحُوثٌ وَدِرَاسَاتٌ فِي اللِهْجَاتِ العَرَبِيَّةِ (1/34) (1/34)
(1/34).

¹⁴⁷ الوَضِيْنَ للهِودَجِ بِمَنْزِلَةِ البِطَانِ لِلقَتَبِ. وَالتَّصْدِيرِ لِلرَّجْلِ، وَالحِزَامِ لِلسَّرِجِ. وَهَمَا كَالنَّسِجِ إِلا أَنَّهُمَا مِنَ السُّيُورِ إِذَا نُسِجَ نِسَاجَةٌ
بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ مِضَاعِغًا. وَالجَمْعُ وَضُنٌّ. قَالَ المُنْتَقِبُ:

(تَقُولُ إِذَا دَرَأَتْ لَهَا وَضِييَ ... أَهَذَا دِينُهُ أَبَدًا وَدِييَ)

وَالوَضُنُّ: نَسِجُ السَّرِيرِ وَشِبْهُهُ بِالجَوْهَرِ وَالثِّيَابِ، فَهُوَ مَوْضُونٌ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: "عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ" أَي مَنُوسِجَةٍ بِالدَّرَرِ بَعْضُهَا
فِي بَعْضٍ مِضَاعِغٍ. الصَّحَاحُ فِي اللُّغَةِ (284/2) العَيْنُ لِلخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ (226/1) (26/2)

¹⁴⁸ الجَأَشُ: جَأَشَ القَلْبُ. وَهُوَ رَوَاعُهُ إِذَا اضْطَرَبَ عِنْدَ الفِرْعِ. يُقَالُ: فَلَانَ رَابِطَ الجَأَشِ، أَي يَرِيطُ نَفْسَهُ عَنِ الفِرَارِ، لِشِجَاعَتِهِ.
وَرِيطَ الجَأَشُ: شَدِيدَ القَلْبِ، كَأَنَّهُ يَرِيطُ نَفْسَهُ عَنِ الفِرَارِ. وَالجُؤُشُوشُ: الصَّدْرُ. صَحَاحُ العَرَبِيَّةِ لِلجَوْهَرِيِّ (142/5) (142/5)
¹⁴⁹ وَيَقُولُونَ: هُوَ أَلْوَى بَعِيدِ المُسْتَمَرِّ: لِلشَّرْسِ الشَّدِيدِ. قَالَهُ النِّعْمَانُ بْنُ المَنْذَرِ لِخَالِدِ بْنِ مَعَاوِيَةَ السَّعْدِيِّ. وَمِنَ الرِّجْزِ: (وَجَدْتِي
أَلْوَى بَعِيدِ المُسْتَمَرِّ* أَحْمَلُ مَا حَمَلْتَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ). التَّذَكُّرَةُ الحَمْدُونِيَّةُ (318/2)

¹⁵⁰ أَي: مَعَاوِدٌ لِلأُمُورِ يَأْتِيهَا مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى. إِذَا كَانَ مَجْرَبًا بِالأُمُورِ مَعُودًا لِمِرَاسِهَا. وَيَقُولُ الرِّجْلُ لِلرِّجْلِ: وَاللَّهِ لَأُنْقَعَنَّ لَكَ مِنَ الشَّرِّ.
أَي: لِأَدِيمَتِهِ لَكَ. وَمِنَهُ السَّمُّ النَّاغِعُ، مِنْ قَوْلِهِمْ: لَأُنْقَعَنَّ لَكَ شَرًّا. جَمَهْرَةُ اللُّغَةِ لِابْنِ دَرِيدٍ (26/3)

¹⁵¹ الجَدْلُ: وَاحِدُ الأَجْدَالِ، وَهِيَ أَصُولُ الحَطَبِ العِظَامُ، وَمِنَهُ قَوْلُ الحُبَابِ بْنِ المَنْذَرِ، أَنَا جَدَيْلُهَا المَحْكَكُ. وَالجَاذِلُ: المَنْتَصِبُ مَكَانَهُ
لَا يَبْرَحُ، شَيْءٌ بِالجَدْلِ الَّذِي يُنْصَبُ فِي المِعَاطِنِ لِتَحْتِكَ بِهِ الإِبِلُ الجَزْبِي. وَيُقَالُ: فَلَانَ جَدْلٌ مَالٍ، إِذَا كَانَ رَفِيقًا بِسِيَاسَتِهِ. وَالجَدْلُ
المَحْكَكُ: الَّذِي يُنْصَبُ فِي العَطَنِ لِتَحْتِكَ بِهِ الإِبِلُ الجَزْبِي. وَمِنَهُ قَوْلُ الحُبَابِ بْنِ المَنْذَرِ الأَنْصَارِيِّ يَوْمَ سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ: أَنَا
جَدَيْلُهَا المَحْكَكُ، وَعُدَيْفُهَا المُرْجَبُ: أَرَادَ أَنَّهُ يُشْتَفَى بِرَأْيِهِ وَتَدْبِيرِهِ. الصَّحَاحُ فِي اللُّغَةِ (85/1) (141/1)

¹⁵² وَالتَّرْجِيبُ: التَّعْظِيمُ. وَإِنْ فَلَانَا لِمَرْجَبِ العَدْقِ بِالفَتْحِ: النِّخْلَةُ بِحَمَلِهَا، وَمِنَهُ قَوْلُ الحُبَابِ بْنِ المَنْذَرِ: "أَنَا عُدَيْفُهَا المَرْجَبُ".
الصَّحَاحُ تَاجُ اللُّغَةِ وَصَحَاحُ العَرَبِيَّةِ لِلجَوْهَرِيِّ (339/1) (216/6)

القـــرآن الكريم أعجوبة في لغته وأساليبه

و{يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ}[المنافقون: 4].

و{وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا}[الفتح: 21].

و{إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا}[النجم: 28].

و{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ}[يونس: 23].

و{وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ}[فاطر: 43]. وهو أكثر من أن تأتي عليه.

وللعرب -بعد ذلك- كلم، تلوح في أثناء كلامهم، كالمصاييح في الدُّجى، كقولهم

للجموع للخير:

(قَتُّوم¹⁵³).

و(هذا أمر قاتم الأعماق¹⁵⁴) أسود النواحي.

¹⁵³ ورجل قثوم : جماع لعياله. وقثم له من العطاء قثما: أكثر. المحكم والمحيط الأعظم في اللغة (1/ 257)

¹⁵⁴ القَتَامُ: وزان كلام الغبار الأسود. و(الأَقْتُمُ) شيء يعلوه سواد غير شديد و مكان(قَاتِمُ الأعماق) بعيد النواحي مع سوادها. يجوز حذف(رُبِّ) وبقاء عملها، بشرط أن تكون مسبوقه بالواو , أو الفاء , أو بل . وحذفها بعد الواو كثير , وبعد الفاء , وبل قليل . فمثال حذفها بعد الواو , قول الشاعر : وقَاتِمِ الأعْمَاقِ خَاوِيِ المَخْتَرَفُنْ

والتقدير : وربِّ قَاتِمِ الأعْمَاقِ . أي: وربِّ مكان قاتم الأعماق. أي: مظلم النواحي من القتام. وهو الغبار. والأعماق: ما بعد من أطراف المفازة مستعار من عمق البئر، والخواوي: الخالي، والمخترق بفتح الراء: الطريق الواسع. لأن المار يخترقه. ومشتبه الأعلام: أي: مختلط العلامات. حاشية الخضري على ابن عقيل(1/ 52) المصباح المنير (2/ 490)

و(اقتحف الشراب كله¹⁵⁵). و(في هذا الأمر مصاعبٌ وقحَم)، و(امرأة حييَّة قديعة¹⁵⁶). و(تقادَعوا تقادَعَ الفراش في النار). و(لَهُ قَدَمٌ صِدْق¹⁵⁷). و(ذا أمر أنت أردته ودبرته). و(تقادَعْتُ بنا النَّوى). و(اشتَفَّ الشراب¹⁵⁸). و(لك قُرعة هَذَا الأمر): خياره. و(مَا دخلت لفلان قريعة بيت¹⁵⁹). و(هو يَهْر القرينة إِذَا جاذبته). و(هم عَلَى قَرُو واحد) أي: طريقة. و(هؤلاء قَرَابِينُ المملك)، و(هو قشع) إِذَا لَمْ يثبت عَلَى أمر. و(قشبه بقبيح): لطخه. و(صبي قَصِيع): لا يكاد يشب. و(أقلت مَقاصِرُ الظلام). و(قَطَعَ الفرسُ الخيلَ تقطيعاً) إِذَا خَلَّفَهَا. و(ليل أقعس: لا يكاد يبرح. و(هو منزل قفر). وهذه كلمات من قرحة واحدة، فكيف إِذَا جال الطرف في سائر الحروف فجأله؟. ولو تقصينا ذَلِكَ، لجاوزنا الغرض، ولما حوته أجلاذ¹⁶⁰، وأجلاذ¹⁶¹.

¹⁵⁵ اِفْتَحَفْتُ الشَّرَابَ: إِذَا شَرِبْتَ كُلَّ مَا فِي الْإِنَاءِ . الاشتقاق لابن دريد (ص: 16). ويقال: اقتحف ما في الإناء: إِذَا شَرِبَهُ أَجْمَع . ولما بلغ امرأ القيس قتل أبيه وهو يشرب قال: "اليومَ خمر وغدأُ أمر، اليومَ قحاف، وغدأُ نقاف". جمهرة اللغة لابن دريد (6/141).

وبنو فُحَافَةَ: بَطْنٌ مِنْ خَثْعَمٍ . وقال الليث: رجل نَقَافٌ؟ بالفتح والتشديد - صاحب تدير للأمر ونظر في الأشياء، ويقال: نَقَافٌ؟ بالكسر. وقال اللبثُ: المَنَاقِفَةُ والنِّقَافُ: هي المَضَارِبَةُ بالسُّيُوفِ عَلَى الرُّؤُوسِ. ثم يَكُونُ النُّقُفُ والنِّقَافُ: أَي: القَتْلُ والقِتَالُ. أَي: تَهْيِجُ الفِتْنِ والحُرُوبِ بَعْدَهُم العِيَاب. الزاخر للصاغاني (27/2).

¹⁵⁶ وامرأةٌ قَدِيعَةٌ: قَلِيلَةُ الكَلَامِ حَيِيَّةٌ. الصحاح في اللغة (65/2) القَدِيعُ: كَفُّكَ انْسَانًا عَنِ السَّيِّئِ بِيَدِكَ أَوْ بِلِسَانِكَ أَوْ بِرَأْيِكَ فَيَنْقَدِعُ لِمَكَانِكَ، قال: فَيَأْمَأُ تَقْدَعُ الدِّبَانُ عَثْمًا ... بِأَذْنَابِ كَأَخِيخَةِ النَّسُورِ. وامرأةٌ قَدِيعَةٌ: قَلِيلَةُ الكَلَامِ كَثِيرَةُ الحَيَاءِ. ونسوةٌ قَدِيعَاتٌ. والنَّقَادِعُ: النِّهَائُفُ فِي البَيْتِ كَتَهَائُفِ الفِرَاشِ فِي النَّارِ. وتَقَادَعُ القَوْمُ: إِذَا مَاتَ بَعْضُهُمْ فِي إِثْرِ بَعْضٍ. العين للخليل بن أحمد(1/27).

¹⁵⁷ قال ذو الرمة: لكم قدمٌ لا ينكر الناس أنها مع الحسب العادي طمّت على الفخر. أساس البلاغة (228/2)

¹⁵⁸ ويقال: اشتَفَّ ما في الإناء: أَي: شَرِبَهُ كُلَّهُ حَتَّى السُّفَافَةَ.

¹⁵⁹ قال أبو عبيدة: يقال ما دخلت لفلان قريعة بيت قط. أي: سقف بيت. المنطق للسكيت (ص: 214) ويقال قريعة البيت: خير موضع فيه، إن كان بردٌ فخيرٌ كِنْنِه، وإن كان حرٌّ فخيرٌ ظِلِّه. والقريعة مثل القُرْعَةِ، وهي خيارُ المال. العباب الزاخر للصاغاني (448/1) الصحاح في اللغة (72/2)

¹⁶⁰ والجَلْدُ: ما صلب من الأرض واستوى متنه. والجميع أجلاذ. العين للخليل بن أحمد (471/1)

¹⁶¹ الصحاحي في فقه اللغة (6:1) (5:1)

القــرآن الكــريم أعــجوبة في لغته وأساليبه

الترادف في اللغة العربية :

ومن القصص والآثار التي تؤكد وجود الترادف في اللغة العربية، ما روى:
أن رجلاً كأبي هريرة لا يعرف كلمة السكين، لأنه من قبيلة (أزد) ودوس بطن من الأزد. فالسكين لغة في المدينة.

والمدينة: لغة في السكين عند دوس. عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ﷺ): "بينما امرأتان نائمتان، معهما ولدان لهما، عدا الذئب عليهما، فأخذ ولد أحدهما، فاخصمها إلى داود في الباقي، ففضى للكبرى منهما، فخرجنا فلقمهما سليمان بن داود، فقال: "ما قضى به الملك بينكما". قالت الصغرى: "قضى به للكبرى". فقال سليمان: "هاتوا السكين لنشقه بينكما".
قالت الصغرى: "هو للكبرى دعه لها".

فقال سليمان: هو لك. خذيه" يعني: الصغرى حين رأى رحمتها عليه. قال أبو هريرة: "وما سمعت بالسكين قط، إلا يومئذ، من رسول الله (ﷺ). ما كنا نسماها إلا المدينة¹⁶²".

فقد تكون قبيلة استعملت كلمة لم تستعملها الأخرى، أو استعملت غيرها، خصوصاً وأن بعض البيئات الطبيعية والاجتماعية لقبيلة قد تخالف ما للقبيلة الأخرى، فقبيلة على الساحل وأخرى في جبل، وثالثة في بادية، وقد تأخذ قبيلة اسماً من الأعاجم لشيء لم يعرف اسمه عندها فتعربه، فيكون اسماً له، وقد تأخذ قبيلة اسماً أو أسماء توجد في لسانها من لسان قبيلة أو ألسنة قبائل أخرى. فلما جمع علماء اللغة ألفاظ العربية ودونوها، ولم يفتنوا إلى أصلها، ولا إلى القبائل التي استعملتها، ولا إلى تأريخها، لعدم وجود هذا النحو من البحث عندهم، في ذلك الوقت، فدونت على أنها مترادفات، وهم في ذلك على صواب،

¹⁶² أخرجه عبد الرزاق (362/7)، رقم (13483).

ولكنهم كانوا على خطأ، من حيث انهم لم يدركوا أنها كانت لغات قبائل، وإن جمعهم للألفاظ، وإهمالهم الإشارة إلى أسماء القبائل المتكلمة بها، جعلها مترادفات بالمعنى الذي ذهبوا هم إليه.

وبذلك اتسعت مادة مفردات المعجم العربي اتساعاً كبيراً، وهو -في حقيقته- حاصل جمع لهجات، أخذ من اختلاف الألسنة، ومن مختلف اللهجات، فضم كله إلى معجم العربية، وظهر على أنه مفردات هذه العربية، لعدم إفصاح علماء اللغة عن أصل كل مترادف، وعن اللسان الذي نطق به في الغالب، فعي الأمر علينا. وصرنا نعتبر هذه الألفاظ التي تقصد مسمى واحداً من المترادفات¹⁶³

اختلاف لغات العرب وأساليبها

واختلاف لغات العرب من وجوه:

1:- الاختلاف في الحركات. كقولنا: "نَسْتَعِين" و "نِسْتَعِين" بفتح النون وكسرها. قال الفراء: هي مفتوحة في لغة قريش، وأسدٌ وغيرهم يقولونها بكسر النون.

2:- الاختلاف في الحركة والسكون. مثل قولهم: "معكم" و "معكم" أنشد الفراء: وَمَنْ يَتَّقِ فَإِنَّ اللَّهَ مَعَهُ... ورزق الله مُؤْتَابٌ وِعَادِ

3:- وهو الاختلاف في إبدال الحروف. نحو: "أولئك" و "أولالك". أنشد

الفراء:

أَلَا لِكَ قَوْمِي لَمْ يَكُونُوا أُشَابَةً... وَهَلْ يَعِظُ الضَّلِيلَ إِلَّا الْأَلْكَ

ومنها قولهم: "أَنْ زِيداً" و "عَنْ زِيداً".

ومن ذَلِكَ: الاختلاف في الهمز والتليين نحو "مستهزؤون" و "مستهزؤون".

¹⁶³ المفصل في تاريخ العرب (15/391)

القرآن الكريم أعجوبة في لغته وأساليبه

- 4:- الاختلاف في التقديم والتأخير. نحو " صاعقة " و " صاقعة " .
- 5:- الاختلاف في الحذف والإثبات. نحو " استحييت " و " استحييت " و " وصددت " و " أصددت " .
- 6:- الاختلاف في الحرف الصحيح ببدل حرقاً معتلاً. نحو " أما زيد " و " أيما زيد " .
- 7:- الاختلاف في الإمالة والتفخيم. في مثل " قضى " و " رمى " فبعضهم يفخم وبعضهم يميل.
- 8:- الاختلاف في الحرف الساكن يستقبله مثله. فمنهم من يكسر الأول ومنهم من يضم، فيقولون: " اشترؤ الضلالة " و " اشترؤ الضلالة " .
- 9:- الاختلاف في التذكير والتأنيث. فإن من العرب من يقول " هذِهِ البقر " . ومنهم من يقول " هَذَا البقر " و " هَذَا النخيل " و " هَذَا النخيل " .
- 10:- الاختلاف في الإدغام. نحو " مهتدون " و " مُهْدُون " .
- 11:- الاختلاف في الإعراب. نحو: " مَا زَيْدٌ قَائِماً " و " مَا زَيْدٌ قَائِمٌ " و " إِنَّ هَذَيْنِ " و " إِنَّ هَذَانِ " وهي بالألف لغة ل بني الحارث بن كعب. يقولون لكلّ ياء ساكنة انفتح ما قبلها ذَلِكَ. وينشدون قول (هوبر الحارثي):
تزوّد منّا بينَ أذناه ضربةً ... دَعْتُهُ إِلَى هَابِي الترابِ عقيمِ
والهابي: تُرابُ القَبْرِ. أذناه: هي لغة كنانة وبني الحارث بن كعب وبني العنبر وبني بكر بن وائل وزبيد وختعم وهمدان وعذرة. وأنكرها المبرد - أبو العباس محمد بن يزيد - وهو محجوج بنقل الأئمة قال الشاعر: (تزوّد منا بين أذناه طعنة) فبين: مضاف. وأذناه: مضاف إليه مجرور بكسرة مقدره على الألف للتعذر.... وخرج عليها قوله تعالى:(إن هذان لساحران) طه 63 وقوله "لا وتران في ليلة".

وذهب بعض أهل العلم إلى أن الإعراب يقتضي أن يقال: "إن هذان". قال: وذلك أن "هَذَا" اسم منهوك. ومُنْهَكُهُ أنه عَلَى حرفين: أحدهما: حرف علة وهي الألف. وها: كلمة تنبيه ليست من الاسم في شيء. فلما نُثِّي احتيج إلى ألف التثنية، فلم يوصل إليها لسكون الألف الأصلية، واحتيج إلى حذف أحدهما، فقالوا: إن حَذَفْنَا الألفَ الأصليةَ بقي الاسم عَلَى حرف واحد، وإن أسقطنا أَلِفَ التثنية كَانَ في النون منها عوض ودلالة عَلَى معنى التثنية، فحذفوا ألف التثنية.

فلما كَانَتْ الألفُ الباقية هي أَلِفُ الاسم، واحتاجوا إلى إعراب التثنية - لَمْ يَغْيِرُوا الألفَ عن صورتها. لأن الإعراب واختلافه في التثنية والجمع، إنما يقع عَلَى الحرف الَّذِي هو علامة التثنية والجمع، فتركوها عَلَى حالها في النصب والخفض. قال: ومما يدلُّ عَلَى هَذَا المذهب قوله جَلَّ ثَنَاؤُهُ: "فذانك برهانان من رَبِّكَ". لَمْ تَحْذَفِ النون - وَقَدْ أَضْيَفَ - لأنه لو حذفت النون لذهب معنى التثنية أصلاً، لأنه لَمْ تَكُنْ للتثنية ها هنا علامة إلاَّ النون وحدها، فإذا حذفت أشبهت الواحد لذهاب علامة التثنية.

12:- الاختلاف في صورة الجمع نحو "أسرى" و"أسارى".

13:- الاختلاف في التحقيق والاختلاس. نحو "يأمرُكم" و"يأمرُكم" و"عُفِي لَهُ" و"عُفِي لَهُ".

14:- الاختلاف في الوقف عَلَى هاء التأنيث. مثل "هَذِهِ أُمَّهُ" و"هَذِهِ أُمَّتٌ".

15:- الاختلاف في الزيادة. نحو "أَنْظُرُ" و"أَنْظُرُ". أنشد الفراء:

الله يعلم أَنَا فِي تَلَقُّتْنَا ... يوم الفراق إلى جيراننا صُورُ

وَأَنْنِي حَيْثُ مَا يَثْنِي الهوى بَصْرِي ... من حَيْثُ مَا سَلَكُوا أَدْنُو فَاَنْظُرُ

وكلَّ هَذِهِ اللغات مسماة منسوبة إلى أصحابها، لكن هَذَا موضع اختصار،

وهي وإن كَانَتْ لقوم دون قوم فإنها لما انتشرت تَعَاوَرَهَا كُلُّ.

16-: اختلاف التضاد. وذلك قول حمير للقائم: "ثب". أي: اقعد. روي أن عامر بن الطفيل قدم على رسول الله (ﷺ) فوثبته وسادة، يريد فرشه إياه، وأجلسه علمها. والوثاب: الفراش بلغة حمير. قال: وهم يسمون الملك إذا كان لا يغزو "موثبان". يريدون: أن يطيل الجلوس ولا يغزو. ويقولون للرجل "ثب" أي: اجلس. وروي: أن (زيد بن عبد الله بن دارم) وفد على بعض ملوك حمير، فألفاه في متصيد له على جبل مشرف، فسلم عليه، وانتسب له، فقال له الملك: "ثب". أي: اجلس. وظن الرجل أنه أمره بالوثوب من الجبل، فقال: "لتجدني -أيها الملك! مطواعاً". ثم وثب من الجبل فهلك. فقال: الملك: "ما شأنه؟" فخبروه قصته، وغلطه في الكلمة، فقال: "أما أنه ليس عندنا عربيت! من دخل ظفار¹⁶⁴ حمير". أي: فليحمر. وفي لسان العرب (1/ 792): ورواه بعضهم: "ليس عندنا عربيتة كعربيتكم". قال ابن سيده: وهو الصواب عندي. لأن الملك لم يكن ليخرج نفسه من العرب، والفعل كالفعل، والوثاب: الفراش بلغتهم ويقال وثبته وثاباً: أي فرشت له فراشاً. وتقول وثبته توثيباً: أي أقعده على وسادة. وربما قالوا: وثبته وسادة. إذا طرحها له ليثب عليها.

وفي الخصائص لابن جني (2/ 28): "روينا عن الأصمعي: أن رجلاً من العرب دخل على ملك (ظفار) وهي مدينة لهم يجي منها الجزع الظفاري. فقال له الملك: "ثب"¹⁶⁵. فوثب الرجل فاندقت رجلاه، فضحك الملك، وقال: "ليست عندنا عربيت". من دخل ظفار حمير". أي: تكلم بكلام حمير. قال الأصمعي "حمر": تكلم بكلام حمير. وقوله: (عربيت) يريد العربية، فوقف على الهاء بالتاء، وكذلك لغتهم. ويقولون للملك إذا قعد ولم يغز: موثبان. وتقول: وثبه توثيباً. أي: أقعده

¹⁶⁴ الصحابي في فقه اللغة (ص: 7) وظفار المدينة التي كان بها، وإليها ينسب الجزع الظفاري. من دخل ظفار فليتعلم الحميرية.

¹⁶⁵ وثب بالحميرية: اجلس.

على وسادة، وربما قالوا: وثبه وسادة: إذا طرحها له، ليقعد عليها¹⁶⁶. وقولهم: "من دخل ظفار حمر". أي: تكلم بكلام حمير. فأخرج مخرج الخبر. وهو أمر. أي: فليحمر¹⁶⁷. وذهب كلامه مثلاً. ففي مجمع الأمثال للنيسابوري (2/306): (مَنْ دَخَلَ ظَفَارَ حَمْرٍ). يضرب للرجل يدخل في القوم فيأخذ بزيمهم. ظَفَارُ: قرية باليمن يكون فيها المغرة. وقيل: كل أرض ذات مَعْرَةَ ظَفَارٍ. والمَعْرَةُ: الطينُ الأحمرُ، وقد يحرك. والأَمْعَرُ: الأحمرُ الشعرِ والجلدِ، على لون المَعْرَةَ¹⁶⁸. وحَمْرٌ: تكلم بالحميرية. ويُقال: معناه صبغ ثوبه بالحمرة، لأن بها تعمل المغرة. وظفار: مبنى على الكسر. مثل قَطَامٍ وَحَدَامٍ¹⁶⁹.

أسلوب التحقيق والتخفيف في الهمز:

وأساليبها كثيرة، وهي من مضامين الأحرف السبعة -كتحقيق الهمز وتخفيفه، ومما يوضح هذه القضية، أن لغة القرآن قد نهجت أسلوبين متوازيين: 1- أسلوب التحقيق في الهمز. 2- أسلوب التخفيف. قال أبو زيد: أهل الحجاز وهذيل وأهل مكة وأهل المدينة لا ينبرون. وقف عليها(عيسى بن عمر¹⁷⁰)،

¹⁶⁶ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري (2/83)

¹⁶⁷ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري (3/476)

¹⁶⁸ الصحاح في اللغة (2/176)

¹⁶⁹ لسان العرب (4/517)

¹⁷⁰ (149 هـ = 766 م) عيسى بن عمر الثقفي بالولاء، النحوي البصري. أبو سليمان: من أئمة اللغة. معلم النحو، وهو شيخ الخليل، وسيبويه، وابن العلاء. وأول من هذب النحو ورتبه. وعلى طريقته مشى سيبويه، وأشباهه. وهو من أهل البصرة. ولم يكن ثقفياً، وإنما نزل في ثقيف، فنسب إليهم، وسلفه من موالي خالد بن الوليد المخزومي. وكان صاحب تقعر في كلامه، مكثراً من استعمال الغريب. عرض القرآن على عبد الله بن أبي اسحاق وعاصم الجعدي. وأثبت الحافظ أبو العلاء قراءته على الحسن. ولا شك أنه سمع منه. وروى عن ابن كثير وابن محيصن حروفاً. وله اختيار في القراءات على قياس العربية. روى القراءة عنه أحمد بن موسى اللؤلؤي... والخليل بن أحمد وشجاع البلخي. قال أبو عبيد القاسم بن سلام: كان من قراء البصرة. له نحو سبعين مصنفاً احترق أكثرها، منها "الجامع" و"الإكمال" في النحو، قال الأنباري: لم نرهما ولم نر أحداً رآهما. وفيات الأعيان 1: 393 وإرشاد الأريب 6: 100 وخزانة الأدب للبغدادى 1، 56 ونزهة الألباء 25 وصبح الأعشى 2: 232 وطبقات النحويين للزبيدي 35 - 41. الأعلام للزركلي (5/106)

القرآن الكريم أعجوبة في لغته وأساليبه

فقال: ما أخذ من قول تميم إلا بالنبر- وهم أصحاب النبر- وأهل الحجاز إذا اضطروا نبروا¹⁷¹". كما روي: أن الحسن البصري قال يوماً لبعض جلسائه: توضيت. فقيل له: أتلحن يا أبا سعيد؟. فقال: "إنها لغة هذيل، وفهم نشأت¹⁷²". وفي محاوراة لابن جني قال: "ترك الهمز لغة هذيل¹⁷³". وذلك أن النطق بالهمزة المسهلة- على اختلاف ألوانه -لا يحتاج إلى كبير عناء، وكذلك فهو يتناسب مع الطبيعة الحضرية، التي تمتاز بالرقّة والسهولة في كل شيء، كما أن البيئة الحضرية تقرب فيها المسافات، فلا حاجة إلى رفع الصوت، وإبرازه¹⁷⁴". فمال الحضريون إلى التسهيل، الذي يتفق مع طبيعتهم. وذلك، لما كانت الهمزة صعبة النطق، ثقلت على لسان المتلفظ بها، حتى إن الإمام الرضى (ت686) ه يقول: "اعلم. أن الهمزة لما كانت أدخل الحروف في الحلق، ولها نبرة كريمة، تجرى مجرى التهوُّع، ثقلت بذلك على لسان المتلفظ بها¹⁷⁵". ويورد ابن يعيش (ت643هـ) مضمون هذا الكلام مديلاً له بقوله: "فلذلك من الاستثقال ساغ فيه التخفيف-وهو لغة قريش وأكثر أهل الحجاز-وهو نوع استحسان لثقل الهمزة، والتحقيق لغة تميم وقيس¹⁷⁶".

وأما قول عيسى بن عمر:(وأهل الحجاز إذا اضطروا نبروا): فربما كان معناه: أنهم حين يضطرون إلى التحدث باللغة المشتركة، فإنهم يلتزمون سماتها، التي منها تحقيق الهمز، أو يكون الاضطرار-هنا-وقوع الهمزة في أول الكلام. وهي في

¹⁷¹ اللسان(المقدمة) 26/1 والنبر : معناه الهمز .

¹⁷² تاج العروس 134/1، و تاريخ الأدب العربي 246/1 للرافعي .

¹⁷³ المخصص 54/5 .

¹⁷⁴ الظواهر اللغوية في لغة الإمام الشافعي، د0 صلاح عيطة، 76، ط0 مطبعة الرضا، الأولى، 1410هـ/1989م0

¹⁷⁵ شرح الشافية 31/3، 32، و المقاييس(همز) 65/6 0

¹⁷⁶ شرح المفصل 1070/9 مكتبة المتنبى القاهرة. اللغوي في تهذيب اللغة للأزهري(6 /10)

عبد القادر منصور

هذه الحالة لا بد من تحقيقها عند جميع العرب¹⁷⁷. "وأقوى ما اضطر الحجازيين إلى الهمز، نزول القرآن الكريم به، قال علي بن أبي طالب: "نزل القرآن بلغة قريش، وليسوا بأصحاب نبر، ولولا أن جبرائيل -عليه السلام- نزل بالهمزة، على النبي (ﷺ) ما همزنا"¹⁷⁸.

¹⁷⁷ خصائص لهجتي تميم وقريش، د0 المواقي، 62، ودراسات في فقه اللغة د0 صبحي الصالح، 78،0

¹⁷⁸ حياة اللغة العربية حفي بك ناصف، 13، العرب والعربية، السيد عبد الرحمن العيدروسي 135